# الطبيعة فى شعر الأبيوردى

## دراسة موضوعية تحليلية

إعداد
**الدكتور/ محمد عبدالحميد السيد غنيم**
الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

# الطبيعة فى شعر الأبيوردى

## دراسة موضوعية تحليلية

بقلم

أ.د/ محمد عبدالحميد السيد غنيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ..

فإن الإنسان مرتبط بالطبيعة من حوله منذ بدء الخليقة؛ فهى أمه الثانية، وهو ابنها الذى يتربى فى أحضانها، ويتنعم بخيراتها، ويتعامل معها؛ فيأخذ منها ويعطيها، ويتأثر بها ويؤثر فيها، ولا ينفصل عنها ما دام حيا .

والشعراء بما فطرهم الله عليه من رهافة الحس ورفعة الذوق وملكة التعبير أقدر الناس على التعامل مع الطبيعة والاندماج فيها والتمازج معها، ورسم صورها واستنطاق جمادها وإظهار مكنونها وسبر أغوارها وكشف أسرارها وتجلية جمالها، والطبيعة بما حباها الله من إبداعات إلهية ونعم لا تحصى، تمد الإنسان بكل حاجاته دون ملل ولا كلل، ولا تبخل على الشعراء ـ بصفة خاصة ـ فهى مهبط وحيهم ومصدر إلهامهم، تنطلق فيها نفوسهم، وتحلق فى جنباتها أخيلتهم، فتجود بالشعر قرائحهم، ويبدعون فى تصوير مفاتنها، ورسم ما فيها من آيات الجمال فى أشعارهم .

وشعراء العربية لديهم ولوع بالطبيعة وسحرها على مر العصور، منذ العصر الجاهلى حتى وقتنا هذا، فهم قد تأملوا فيها، وبثوها آلامهم، وتناسوا عندها أحزانهم، وأحبوها وفتنوا بها، وصوروها كما امتثلتها نفوسهم،ونظراتهم لها متباينة تباين ثقافاتهم وأذواقهم، ومن ثم اختلفت صورتها فى أشعارهم ؛ فمنهم من اقتصر

فى التعامل مع الطبيعة على رسم وتصوير المنظر الخارجى، ومنهم من وقف أمام الطبيعة معجبا ومشدوها؛ ثم أخرج المنظر الطبيعى فى صورة معادلة للصورة الخارجية التى رآها وأعجب بها، ومنهم من اهتم بالصورة التى تكونها مخيلته أكثر من الصورة التى شاهدها فى الطبيعة، ومنهم من اتحد بالطبيعة، وتبادل معها المشاعر فى بعض المواقف، ومنهم من لا يكتفى بتبادل المشاعر؛ بل يستبطن أغوارها، ويتأمل أسرارها، ويستخرج ما فيها من دلالات خلقية أو فكرية، ومنهم من يتخذ منها رمزا لما يجده فى نفسه من وجدانيات ومشاعر لا يقدر على التصريح بها .

وشعر الطبيعة يعنى به "الشعر الذى يمثل الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة، كما امتثلتها نفس الشاعر وجملها خياله"[1] ومن يتأمل ديوان الأبيوردى يدرك ــ لأول وهلة ــ أنه مولع بالطبيعة، مفتون بسحرها، عاشق لجمالها، متفنن فى إبداع ورسم صورها، وسوف أحاول ــ بمشيئة الله تعالى ــ الوقوف على ذلك فى هذا البحث "الطبيعة فى شعر الأبيوردى" والسبب الرئيس فى اختيارى هذا الموضوع؛ هو أن شعر الأبيوردى ثرى بصور الطبيعة؛ فلا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من صورة من صورها أو مظهر من مظاهرها أو ظاهرة من ظواهرها . ففى الديوان ارتباط وثيق بين الشاعر والطبيعة، حفزنى لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه، وهو موضوع ــ من وجهة نظرى ــ جدير بالبحث والدراسة .

وقد جعلت هذا البحث فى مقدمة بينت فيها مدى ارتباط الشاعر الوثيق بالطبيعة، ومفهوم شعر الطبيعة، ثم عرفت بالشاعر تعريفا

(١) شعر الطبيعة فى الأدب العربى صـ٢٤ د/ سيد نوفل ط:الثانية سنة ١٩٧٨م دار المعارف، وانظر:الوصف ــ فنون الأدب العربى صـ٢٩ وما بعدها. ط: الثالثة سنة ١٩٨١م دار المعارف.

موجزا، يكشف عن زمانه وبيئته ومنزلته بين شعراء عصره. وبعد ذلك عرضت لشعر الطبيعة عند الأبيوردى، وقد تناولت بعضه بالتحليل والدراسة؛ وذلك فى مبحثين: المبحث الأول: الطبيعة الصامتة، والمبحث الثانى: الطبيعة الحية[1]، حتى يتسنى للقارئ الوقوف على منهج الشاعر فى إبداعه وتصويره للطبيعة من حوله، وختمت البحث بخاتمة موجزة؛ أجملت فيها أهم نتائج البحث، وثبت المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يوفقنى لإتمام ما بدأته، وتحقيق ما قصدته، وأن يهيئ لى من أمرى رشدا، وأن يشرح لى صدرى، وييسر لى أمرى وهو حسبى ونعم الوكيل .

**د/ محمد عبدالحميد السيد غنيم**
أستاذ الأدب والنقد المساعد
فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

(١) غلب إطلاق لفظ الطبيعة على الجامد والمتحرك غير العاقل من الكائنات، ومن ثم فالطبيعة الجامدة تشمل النبات وأحوال الزمان وكل عنصر غير ذى شعور. والطبيعة المتحركة ــ حركة فى حرية وانطلاق ــ تشمل الحيوانات والطيور والزواحف.. إلخ .

## التعريف بالشاعر:

هو أبوالمظفر محمد بن أبىالعباس أحمد بن إسحاق بن أبىالعباس الإمام ينتهى نسبه إلى أبى سفيان بن حرب، وقد ورد لفظ "المعاوي" فى شعره كثيرا؛ نسبة إلى معاوية الأصغر بن محمد بن أبىالعباس، وكان الأبيوردى يعتز بنسبه، ويتيه به بين أقرانه، ويفاخر بنسبه الأموى، ويعتد بأخواله، ويشهد بذلك قوله:

ونحن معاويّون يرّضى بنا الورى ∴ مُلوكًا وفينا من نُوَىً لِواؤُها
وأخوالُنا ساداتُ قيسٍ ووائلٍ ∴ وأعمامُنا من خِندفٍ خُلفاؤُها
وقد علمتْ عُليا كنانةُ أننا ∴ إذا نقضَ الطّيشُ الحُبَا حُلماؤُها
وما بلغتْ إلا بنا العربُ العُلا ∴ وقد كان منّا عِزّها وثراؤُها[1]

وأشار إلى أن أمه كانت تمت بصلة إلى العجم فى قوله:

فغالى رفيعُ السَّمْكِ فى العُجْمِ بَيْتُه ∴ وعمّى له جُرثُومةَ المجْدِ فى العَرَبْ[2]

وافتخر بأن أباه أشرف الأنام فى قوله:

يَفْدِيك نفْسِى والناسُ غيْرَ أبِى ∴ فإننى أشْرفُ الأنامِ أبَا[3]

وهذا التباهى بنسبه والتفاخر بأهله وأقاربه منتشر فى شعره بصورة لافتة للنظر. وقد لقب فى صدر ديوانه؛ بفخر الرؤساء، جمال العرب، أفضل الدولة، أوحد العصر، تاج خراسان وعرف فى جميع المراجع بالأبيوردى وفى بعضها بالكوفنى .

وقد ولد الأبيوردى فى قرية "كوفن" الصغيرة التى تقع على بعد ستة فراسخ ــ ٣٣كم تقريبا ــ من أبيورد بخراسان، وهو ينتسب إلى "أبيورد" الواقعة فى الشمال الشرقى لخراسان، وهى اليوم فى تركستان الروسية، ولم يعرف تاريخ ولادته على وجه التحديد، واجتهد محقق الديوان فى تقدير سنة ولادته، واستنتج من بعض قصائده أن ميلاده حوالى سنة ٤٥٧هـ، وقد عاش حياة حافلة

(١) ديوان الأبيوردى ١/ ٥٨٦ .
(٢) ديوان الأبيوردى ٢/ ١٢٦ .
(٣) السابق ٢/ ٢٦١ .

بالتقلبات، بلغت حوالى خمسين سنة، بدأها فى "كوفن" فى مطلع حياته، ثم انتقل إلى بغداد؛ حيث حياة الشهرة والمجد والذيوع والاتصال بالأمراء والخلفاء والوزراء، وفى النهاية عاد إلى خراسان، وتنقل بين مدنها؛ حتى استقر به المقام فى أصفهان حيث مات مسموما فى سنة ٥٠٧هـ .

وكان الأبيوردى أديبا مشهورا وراوية ونسابة، وشاعرا ظريفا، عرف بموسوعية الثقافة وتعدد المعارف ، تتلمذ على يد شيوخ زمانه، ونقل عنه كثير من الرواة والأدباء، وقد صنف فى اللغة والنحو والنسب والأخبار والبلاغة والإنشاء، وللأسف لم يبق منها سوى ديوان شعره ــ العراقيات والنجديات ــ وكتابيه: "المختلف والمؤتلف وزاد الرفاق"(١).

## الطبيعة فى شعر الأبيوردى:

كان لتنقل الأبيوردى بين كوفن وأبيورد وبغداد وخراسان وسائر المدن والبلدان أكبر الأثر فى عشقه للطبيعة وولعه بها، فالإنسان الذى يتنقل من مكان إلى آخر تزداد مشاهداته، وتتعمق إدراكاته، ويرقى خياله، ويختزن فى مخيلته صورا كثيرة ومشاهد متعددة لكل ما تقع عليه عينه، وتدركه حواسه من مظاهر الطبيعة، وما تحويه من سحر وجمال، وتتوثق الروابط بينه وبين الطبيعة، ويشتد بها تعلقه وهيامه.

والأبيوردى شاعر موسوعى الثقافة، متعدد المواهب، عميق التأمل، دقيق النظر، مرهف الحس، رقيق المشاعر، خصب الخيال،

(١) اقرأ ترجمة الأبيوردى ونسبه فى: الأنساب للسمعانى. المنتظم لابن الجوزى. الخريدة للعماد الأصفهانى، معجم الأدباء لياقوت ، تاريخ الكامل لابن الأثير، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ونهاية الأرب للنويرى، وطبقات الشافعية للسبكى، وديوان الأبيوردى (المقدمة) وغيرها من كتب التراجم والسير.

رفيع الذوق، نافذ البصيرة، وذلك يسر له التقاط صور الطبيعة وإدراك مفاتنها، والإبداع فى التعبير عنها ونقلها إلى المتلقى فى ثياب معجبة قشيبة تبهر النفس وتفتنها ، وتصويره للطبيعة فى شعره قد يكون مبنيا على الحقيقة؛ أى ينقل لنا واقعا مشاهدا ، أو صورة طبيعية بعد صياغتها صياغة تروق وتعجب، أو معتمدا على المجاز؛ فيحاول من خلال الصورة أن يربط بين الحقيقة والمجاز، وكأنه يقدم الدليل ويقيم الحجة على صحة ما ذهب إليه، وذلك دور الخيال الذى يؤلف بين الأشياء المتباعدة تأليفا غريبا يدهش النفوس.

وحتى يتسنى للقارئ الوقوف على شعر الطبيعة فى ديوان الأبيوردى، وعلى موقف الشاعر من الطبيعة ونظراته إليها واستلهامه منها؛ مما جعل شعره ناطقا بالجمال والحياة والحركة والحيوية والرقة والعذوبة وكل صور وملامح الطبيعة الجميلة من حوله ومن فوقه ومن تحته؛ فسوف أتناول على الصفحات التالية ــ بمشيئة الله تعالى وتوفيقه ــ الطبيعة فى شعر الأبيوردى بشىء من التفصيل والدراسة الفنية التى تسهل للقارئ الوقوف على ما قصدته من جهة ، والتى تكشف من جهة ثانية عن مدى توفيق الشاعر فى اتخاذه من الطبيعة مصدرا ومادة لشعره، ومقدرته على استلهامها وسبر أغوارها، وكشف أسرارها، واستبطان خفاياها، والتحليق فى آفاقها، ورسم صورها على مختلف أشكالها وألوانها .

# المبحث الأول
# الطبيعة الصامتة

## ظواهر الطبيعة أو الظواهر الكونية:

لا شك فى أن آيات الله فى الكون تدعو أصحاب الفطر القويمة والعقول السليمة إلى النظر والتأمل فيها حتى يتعمق إيمان الإنسان بخالق الكون والحياة .

والمتأمل فى أشعار الأبيوردى يدرك لأول وهلة ارتباطه الشديد وتعلقه القوى بالظواهر الطبيعية من حوله، ويقرر فى ثقة نسبة هذا الشاعر إلى هذا الفريق من الشعراء الذين عشقوا الطبيعة وتأملوها، وتغنوا بها فى أشعارهم، ولم تفتهم ظاهرة طبيعية أو كونية إلا عبروا عنها، فديوانه يتعاقب فيه الليل والنهار، وتبزغ فيه الشمس والقمر، وتتشابك فيه أسراب النجوم، وتتلألأ فيه الكواكب ، وتتراكم فيه السحب، وتهب الرياح، ويتساقط فيه المزن والمطر والندى والودق، وترتفع فيه أصوات الرعد، ويومض فيه البرق، وتتتابع فيه الشهب، وغير ذلك من الآيات الكونية التى تتزاحم بين دفتى الديوان[1].

وسوف أعرض طرفا من تلك الصور التى تكشف عن ولوع الأبيوردى بالظواهر الطبيعية والآيات الكونية .

## أولا: الليل والنهار:

هما عنصرا الزمن،ويمثلان البيئة أو الطبيعة الزمانية،والإنسان ابن بيئته وما حياته إلا ساعات وأيام وليال يقضيها ويحياها مع سائر الكائنات، ولا يمكن فصله عن الطبيعة من حوله بكل ما فيها من مخلوقات وظواهر وآيات كونية؛ قد يفهم بعضها، ويغيب عنه كثير منها، والأبيوردى شديد الارتباط بالزمن، ويغلب عليه التعلق بالليل،

(١) فى الديوان ما يربو على ثلثمائة صورة ترتبط بالظواهر الطبيعية.

فصورته بما فيه من القمر والنجوم والكواكب والدجى والظلام.. الخ كثيرة فى الديوان ، والليل فى حياته تأثير بالغ وأهمية شديدة، وذلك حيث ورد فى أشعاره أكثر من سبعين ومائتى مرة، ومع أن الليل سكن للناس أجمعين بحسب الفطرة التى فطر الله الناس عليها، فإن شاعرنا بخلاف ذلك، وهو يكشف عن يقظته فى الليل، فيقول:

غَدَوْا وما فلقَ الإصْباحَ قالَتُهُ ∴ فالليلُ للناس غيرى بعدَهُمْ سَكَنُ[1]

فهو دائم السهر فى الليل لأسباب كثيرة، وهو شديد الارتباط به وبنجومه وظلامه، وهى يباهى بذلك ويفتخر؛ فيقول لمحبوبته:

أأُمَيْمُ إن خفيتْ عليك سَبَابتِى ∴ فسَلِى ظلامَ الليل كيف أكونُ
واستخْبِرِى عنى النجومَ فقد رأتْ ∴ سهرى وأروقةُ الغياهبِ جونُ[2]

وهو لا يطيب له المقام فى مكان؛ فقد ألف حياة الغربة، وليل الغريب سهاد وأرق، وقد رسم منهجه فى الحياة بقوله[3]:

النجْمُ تحت خُطَا المَهْرِيّةِ النُّجُبِ ∴ والعزْمُ فوقَ ظُبَا الهِنْدِيّةِ القُضُبِ
والعزمُ يوقظُ داعى الحزْمِ نائمَهُ ∴ وهل تدورُ الرَّحَى إلا على القُطُبِ
فيا الثَّواءُ بأرضٍ للمُقيمِ بها ∴ إلا الهُوينى حنينُ الوُلَّهِ السُّلُبِ[4]
أقْذَى الزمانُ بها شُرْبِى ورَنَّقَهُ ∴ ماذا تريدُ الليالى من فتًى غَرُبِ[5]

وهو معتز بنفسه معتد برأيه، فلا ينتظر نور الصباح فى النهار، ولا يعتمد على النجوم فى الليل؛ فيقول كاشفا عن مفتاح شخصيته:

وأعزأ بالأنوار والصبحُ طالعٌ ∴ ولا أهتدى بالليل والنجمُ مسدفُ[6]

---

(١) ديوان الأبيوردى ٢/ ٢٧٩ تحقيق د/ عمر الأسعد . مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط الثانية ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.
(٢) الديوان ٢/ ١٢٤ ــ ١٢٥ .
(٣) ٢/ ٣٢ .
(٤) الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد. السلب: جمع سلوب وهى الناقة التى سلب ولدها .
(٥) رنق الماء: كدره. الغرب والغريب: بمعنى واحد .
(٦) ١/ ٤٣٥ . مسدف: مظلم .

وصورة الليل عند الأبيوردى متعددة الألوان؛ فليس الليل كله عنده على وتيرة واحدة، فليله يختلف من حال إلى أخرى ــ ومرد ذلك إلى حالته النفسية ــ ومع اختلافه وتباينه فإن موقفه من الليل يتلخص فى أمرين:

**أحدهما:** موقف إعجاب وحب وسعادة وألفة ورضا وقبول .
**وثانيهما:** موقف إنكار وبغض وشقاء ونفور وكراهية ورفض.
والموقف الأول يقضى بعشقه لليل وحبه له، وذلك فى مواطن كثيرة، منها عندما يقضى الليل مع إحدى حبيباته، أو عندما يأنس بزيارة طيف إحداهن ليلا، فليله حينئذ يقصر ويتمنى أن يستمر مدى الدهر، ويروقه ويعجبه، لأنه يؤذن بوصال الحبيبة وذلك يجلب له السعاة وراحة النفس وطمأنينة القلب، وصورة لقائه بالحبيبة أو بطيفها ليلا منتشرة فى الديوان بصورة لافتة للنظر، وكل صورة من تلك الصور تأتى بملمح جديد، ولا يخفى أن الجو النفسى الذى يحياه الشاعر له أكبر الأثر فى رسم الصورة، فليله مع الحبيبات وفى قربه منهن قصير، وإن نأى عنهن أو نأين عنه طال ليله، وهذا المعنى قديم فى الشعر العربى، فكم اشتكى الشعراء قصر الليل فى ليالى الأنس وقرب الحبيبة ــ وليل العاشقين قصير ــ واستمرت شكواهم وتواصلت حتى وقتنا هذا ، وستظل حتى نهاية الحياة ما دام فيها العشاق والأحباب.

وهو يشارك الشعراء السابقين فى التعبير عن هذا المعنى بقوله لإخوانه فى بغداد[1]:

بها العيشُ غضٌّ والحياةُ شهيّةٌ ∴ وليلٌ قصيرٌ والهجيرُ أصيلُ (...)
لئن قَصُرتْ أيّامُ أُنْسِى بِقُرْبِكم ∴ فليْلِى على نأْيِ المَزَارِ طويلُ

والليل يأتيه بحبيبته ذات الوجه المنير والقد الممشوق؛ فيسعى إليها، وقد تفرقت النجوم فى الأفق كاللؤلؤ، فأمل الشاعر معقود على الليل، وعناصر الصورة الليل ووجه الحبيبة المنير الذى حل محل

(١) ١/ ٥٧٠ .

البدر فى نشر النور على أرجاء الكون،والنجوم المتلألئة التى تفرقت فى الأفق، وهو يصور ذلك بقوله[1]:

إذا الليلُ أدْنَى من يَدَىَّ وِشَاحَهُ ∴ خَلَعْتُ نِجَادَ المُشْرِفِيِّ المُهَنَّدِ
يحُطّ عن البدْرِ المنيرِ لِثَامَهُ ∴ ويُهْفُو بِخُوطِ البَانَةِ المتأوِّدِ
سَمَوْتُ إليه والنجومُ كأنّها ∴ على الأفْقِ مرفضُّ الجُمَانِ المُبَدَّدِ[2]

وقد يقضى الليل مع حبيباته، ولولا الحب لسار الليل وارتحل عنهن، فهو عاشق لليل، عندما يقضيه مع حبيباته، وقد صرح بذلك فى قوله[3]:

وليْلةٍ من ليالى الدَّهر صالحةٍ ∴ فهنَ وهْيَ الشِّفاهُ اللُّعْسُ والرَّتَمُ[4]
جعلْتُ يُمْنَايَ فيها طوْقَ غانيةٍ ∴ حُوزٌ مدامعُها فى كشْحِها هضَمُ
فارْفضَّ شمْلُ الكرى والطَّلُ يُخْضِلُنا ∴ سَقِيطُهُ وثغُورُ الصبحِ تبْتسِمُ
نمْشِى بمُنعرجِ الوادى على وَجَلٍ ∴ والنومُ من أعْينِ الواشينَ يَنْتَقِمُ

والصورة هنا تجمع بين الشاعر وحبيباته فى الليل، وقد غلب عليها الخيال، حيث حلق خياله فى أرجاء الكون، ليجمع بين أهم مفردات الليل، اللعس، الرثم، الكرى، النوم، وجاء بمفردات تجمل الصورة وتجعل منها لوحة فنية رائعة فالطل يتساقط على الأحباب فى آخر الليل عندما تتفتح ثغور الصبح ليؤذن بزوال الليل وفراق الأحبة. ولا يخفى الجمال فى قوله: فهن وهى الشفاه اللعس والرثم، فبياض وجهها وإشراق نوره يضئ جوانب الليل المظلم، والجمال فى البيت الثالث الذى يكشف عن جمال الطبيعة فى آخر الليل ، وكذا السعادة الغامرة حين يسيران بمنعرج الوادى على وجل وخوف، وانتقام النوم من أعين الواشين الذين يراقبون الأحباب فى ساعة اللقاء، فيفسدون عليهم خلوتهم ولقاءهم .

---

(١) ١/ ٤١٧ .
(٢) ارفض الدمع: سال .
(٣) ٢/ ٥٤ .
(٤) فى الشطرة الثانية لف ونشر مرتب، فالليالى سود، والرثم : بياض فى جحفلة الفرس العليا .

وحين يتعلق الأمر بلقاء محبوبته؛ فإنه يشتد تعلقه بالليل، فالأمل معقود عليه فى وصل الحبيبة، فهو يمدحه ويفضله على النهار، لأنه يقرب إليه حبيبته، ويمكنه من اللقاء بها والجلوس معها، والتحدث إليها، وكل منهما يفضى إلى الآخر بما فى قلبه من الجوى والحب بدون خوف الرقيب، ويشتد ضيقه من النهار؛ لأن ظهور نور الصبح يؤذن بنهاية اللقاء وفراق الأحباء، وإلا افتضح أمرهما، وقد عبر عن ذلك بقوله:

إذا اللّيلُ أدْناها إلىَّ نَأَى بها ∴ صباحٌ كما أوْفَى على اللِّمَّةِ الوَخْطُ[1]

فالصراع فى الصورة هنا بين الليل والنهار، فالليل يقرب إليه حبيبته، والصبح يبعدها عنه، وأكد المعنى بصورة بيانية فى الشطر الثانى من البيت ٠

والليل لا يبخل عليه بوصال حبيبته ومعانقتها وتقبيلها بخلاف النهار الذى يفرق بينهما، وهذا المعنى راسخ فى ذهنه مكرور فى شعره، ومنه قوله[2] ــ وقد شكا قصر الليل ــ:

عانقتُها والشُّهْبُ ناعِسَةٌ ∴ والأُفْقُ بالظَّلْماءِ مُنْطَبِقُ
فشَمْتُها والليلُ من قِصَرٍ ∴ قد كادَ يَلْثِمُ فَجْرُهُ الشَّفَقُ

أما إذا بخل عليه الليل بالوصال، وعز عليه لقاء الحبيبة، وهيجت الذكرى مشاعره وأحاسيسه فإنه يقضى الليل كله فى البكاء، كما فى قوله[3]:

تَذَكَّرتُها والليلُ يُسْبِلُ ظِلَّهُ ∴ فَبِتُّ أُريقُ الدَّمْعَ حتى بَدَا الفَجْرُ

ولما كانت حبيبته تواصله الود والقرب فى أول الليل، وتهجره فى آخره ــ كما هى عادة المحبين والعشاق ــ فهو يتمنى أن يكون

---

(١) ١/ ١٨٥ . اللمة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن، الوخط: مصدر وخطه الشيب أى خالطه ٠
(٢) ٢/ ٩٢ ــ ٩٣ ٠
(٣) ٢/ ٢٥٤ ٠

الدهر كله ليلا، حتى تظل معه لا تفارقه أبدا، ويدوم وصالهما بدون تفرق، وهو معنى جميل فى هذا المقام؛ فيقول[1]:

تُواصِلُنِي وَمَا بِالنَّجْمِ مَيْلٌ ∴ وتَهْجُرُنِي إذَا مَا النَّجْمُ مَالَا
فليتَ الدهْرَ ليلٌ أرْتَدِيهِ ∴ فتَطْرُقُ مَضْجَعِي أبَدًا خَيَالَا
فألقَاهَا على قُرْبٍ وبُعْدٍ ∴ فلا هَجْرًا تُجِدُّ ولا وِصَالَا

والمعجم الشعرى فى تلك الصورة يجمع بين مجموعة من المتقابلات التى تكشف عن حالة الصراع العاطفى عند الشاعر، فهى تواصله والنجم فى كبد السماء، وتهجره عندما يميل النجم إلى الأفول، وهو يجمع بين القرب والبعد، والهجر والوصال فى البيت الأخير.

ومن ثم فهو يتمنى أن لو كان الدهر كله ليلا يرتديه لينعم بوصال خيال المحبوبة أبد الدهر.

وللأبيوردى مغامرات ليلية كثيرة ــ خيالية أو حقيقية ــ تحكى تحمله الصعاب وتكبده المشاق من أجل إحدى الجميلات، فقد يسرى إليها، ولا يهاب الأهوال، ولا يبالى بطول السفر، كما فى قوله[2]:

وخَوْضِى إليكِ اللَّيْلَ أَرْكَبُ هَوْلَهُ ∴ وإنْ بَعُدَ المَسْرَى فلَسْتُ أُبَالِى

وهو يقص علينا واحدة من مغامراته الليلية مع إحدى الجميلات فى سرب من الرعابيب، وقد خرجن ذات ليلة مظلمة، وظل يراقبهن فى الليل؛ حتى غازل إحداهن فرقت له ثم ارتمت فى أحضانه، وسعد كل منهما بالآخر حتى تبسم الصبح، وهو هنا يمدح الليل لأنه يجمع الأحباب ويستر عليهم، ويشكو النهار لأنه يفرق بينهم، وينم عليهم ، وقد صور هذه المغامرة فى مجموعة أبيات يقول فيها[3]:

---

(١) ٢/ ٢٥٥ .
(٢) ١/ ٦٤٧ .
(٣) ١/ ٤٥٠ ــ ٤٥١ .

رَعَابِيبُ يُحْمَى سِرْبُهُنَّ بِغِلْمَةٍ ∴ يَشُمُّ بِهِمْ أَنْفُ الْمَكَاشِحِ مَرْغَمَا[1]
غَيَارَى إِذَا أَرْخَى الظَّلامُ سُدُولَهُ ∴ سَرَوْا فِى ضَمِيرِ اللَّيْلِ سِرًّا مُكَتَّمَا
يَبِيتُونَ أَيْقَاظًا عَلَى حِينَ هَوَّمَتْ ∴ كَوَاكِبُ يَغْشَيْنَ الْمَغَارِبَ نُوَّمَا[2]
طَرِقْتُهُمُ وَالبِيضُ بِالسُّمْرِ تَجْتَوِى ∴ فَخُضْتُ إِلَيْهِنَّ الْوَشِيجَ الْمُقَوَّمَا[3](..)
وَغَازَلْتُ إِحْدَاهُنَّ حَتَّى بَكَتْ دَمًا ∴ مَدَامِعُنَا لِلصُّبْحِ حِينَ تَبَسَّمَا
وَضَاقَ عِنَاقٌ يَسْلُبُ الْجِيدَ عِقْدَهُ ∴ وَلَمْ يَحْتَضِنْ مِنَّا الْوِشَاحَانِ مَأْثَمَا
فَوَاعَجَبًا حَتَّى الصَّبَاحُ يَرُوعُنِى ∴ لَهُ الْوَيْلُ كَمْ يَشْجُو الْفُؤَادَ الْمُتَيَّمَا

فالصورة فى إطارها العام تضم حبيبين فى لقاء حميم، وعناصرها تلك الجميلات والحرس والشاعر والليل والكواكب والفجر والظلام والصبح والسلاح، فهى تجمع بين النور والظلام والحركة والسكون والألوان والخطوط والظلال، وفيها البعد الزمانى المتمثل فى الليل والصباح، والبعد المكانى الذى تم فيه اللقاء، ثم البعد النفسى الذى كشف عن سعادة الشاعر وتلك الغادة الجميلة بهذا اللقاء فى تلك الليلة المظلمة ، ولم يؤرقهما إلا تبسم الصبح حتى أبكاهما دما عندما عم نوره الأفق، ولا يخفى أن كلمة "دما" توحى بحرقة الجوى، وأن اللقاء بلغ الغاية فى الحب والسعادة، وكلمة "المتيما" تؤكد ذلك . وجملة "له الويل" تكشف عن ضيق الشاعر من الصبح مما جعله يتوعده حين أفزعه وحبيبته بنوره، ولا يخفى أن هذا اللقاء ــ كماعودنا الشاعر فى كل لقاءاته ــ كان لقاء عفيفا، يوحى بذلك قوله: "ولم يحتضن منا الوشاحان مأثما" والليل فى الصورة عنصر سعادته، والصبح فيها سبب تعاسته ، فبينهما الصراع الدائم على مدى الدهر، ولا يشعر به إلا من كابده، وانظر إلى جمال الصورة فى قوله: "سروا فى ضمير الليل سرا مكتما"

(١) الرعابيب جمع الرعبوب من النساء: الطويلة البيضاء. الكاشح: العدو المبغض، وانكشحوا: ذهبواوتفرقوا .
(٢) هومت: مالت من النعاس.
(٣) البيض: النساء. الوشيج: عروق القصب، وتطلق مجازا على الرماح .

والعلاقة التى تجمع بين السير لـيلا والضـمير والسـر .. الـخ ، فالصورة لوحة زيتية يتجسد فيها جمال الليل بكل عناصره الذىيسعد الشاعر بلقاء حبيبته، وقسوة النهار الذى يبكيهما دما عند الفراق.

والأبيوردى يروى لنا كثيرا من الزيارات الليلية، وهى زيارات تجمع بين الحقيقة والخيال، فقد يزور إحدى النسـاء أو مجموعـة منهن، وقد تزوره إحداهن أو مجموعة منهن، وقد يأنس بزيارة طيف حبيبته فتقربه عينه عندما تهيج الذكريات شـوقه وحنينـه إليهـا . ويلاحظ أن زيارات النساء إليه أكثر من زياراته إليهن، وهـو بـذلك يجعل حبيبته تبتذل وتترك التصون، حيث تقبل عليه، وتسعى إليه مع أترابها ليلا ليقضى منها وطرا، وهذا يتنافى مع ما عرف عن المرأة من التدلل وإظهار التعفف حتى لو كانت هى الراغبة، وهذه الصورة مكرورة فى شعره، فهو فى كثير منها ــ مع النسـاء ــ مطلـوب لا طالب ، ومرغوب فيه لا راغب، ومـزور لا زائـر، وهـذه إحـدى الزيارات النسائية الليلية، "فسلمى" حبيبتـه، تأتيـه ــ حـين ينـام الواشون ــ ويطمئن الكون ــ فى حمى ظلام الليل الذى يسترها عن عين الرقيب والغيران، وعندما تشعر بقرب نهايـة الليـل وظهـور الصباح؛ فإنها تعود إلى بيتها عزيزة كريمة لـم تـدنس بفاحشـة، فحبهما عفيف ولقاؤهما شريف، وتجتهد مـع خـدمها فـى إخفـاء أسرارها مع حبيبها، وطمس وإزالة ملامح زيارتها له، وفى الوقـت الذى يمدح فيه الليل؛ لأنه يستر حبيبته حين تزوره، يشكو الورقاء التـى تفضح أمره، وتكشف سره مع حبيبته حين تنوح، وتجاوبها بقية الحمائم، والجميل فى الأمر أن تغريد هذه الورقاء ما هو إلا إنشاد أشعاره، وكأنهـا تعايشه حياته، وتشاركه مشاعره، وتبادله أحاسيسه، فهى تنـوح وتغـرد وتنشد أشعاره وقد صور ذلك بقوله مشيرا إلى تكرار زيارتها[1]:

وَكَمْ طَرَقْتَنَا وَهْيَ تَـدَّرِعُ الـدُّجَى .. وَتَمْشِـى الْهُوَيْنَى بَـيْنَ عُـونٍ وَأَبْكَـارِ

(١) ١/ ٢٦٠ .

ولَمَّا رَأَيْنَ الليلَ شابَتْ فُرُوعُهُ ∴ رَجَعْنَ ولم يُدْنَسْ رِدَاءٌ بِأَوْزَارِ
مضَى وحَوَاشِيهِ لِذَانٌ كأنَّمَا ∴ كَسَاهُ النَّسِيمُ الرَّطْبُ رِقَّةَ أَسْحَارِ
وهُنَّ يُجَرِّرْنَ الذُّيولَ على الثَّرَى ∴ مخافَةَ أن يَسْتَوْضِحَ الحيُّ آثَارِى
ومِمَّا أذاعَ السِّرَّ وَرْقَاءُ كلَّمَا ∴ أَمَلْتُ إليها السَّمْعَ نَمَّتْ بِأَسْرَارِى
إذا هِيَ نَاحَتْ جاوَبَتْهَا حمائِمٌ ∴ كَمَا حَنَّ وَلْهَى فِي رَوَائِمِ آطَارِ[1]
كأنَّ رواتِي علَّمُوهنَّ مَنْطِقِي ∴ فهُنَّ إذا غَرَّدْنَ أَنْشَدْنَ أَشْعَارِى

فالصورة تضافرت عناصرها ــ الدجى، جماعة النساء، الليل، النور، النسيم الرطب، أسحار الثرى، الورقاء، الحمائم، الروائم ــ لكشف البعد النفسى لدى الشاعر؛ الذى كشف عن سعادته بزيارة الحبيبة له ليلا، والليل عنصر ستر فى هذه الصورة، وفى الصورة أبعاد أخرى لها أهميتها فى إثراء الصورة ، كالبعد الاجتماعى، حيث كشفت الصورة عن العفة والطهر ومكانة الشاعر والحبيبة فى المجتمع (سلوى) تأتيه بين خدمها ــ عون وأبكار ــ فهى شريفة عزيزة فى قومها ، ثم عن القيم فى هذا المجتمع الذى يخشى إظهار العلاقة ــ حتى الشريفة ــ بين الرجل والمرأة، وذلك جعل المحبوبة تخفى أسرار اللقاء، حين قام خدمها بجر الذيول على الثرى حتى لا يظهر أثر مشيها على الرمل إلى الحبيب، وللطبيعة الحية الصائتة والحيوانية أثر فى جمال الصورة وإثرائها؛ فالورقاء والحمائم والنوق بمنظومتها الموسيقية العذبة وإنشادها الرقيق، تؤدى دورها فى تتميم الصورة وإضفاء مسحة الجمال عليها .

والزيارات النسائية الليلة له متعددة فى الديوان[2]. ومنها تلك الزيارة التى تحكيها تلك الصورة الجميلة حين تأتيه إحدى الجميلات

(١) الولهى: هى التى اشتد حزنها حتى ذهب عقلها. الرئم: ولد الظبى. والظئر: المرضعة لغير ولدها .

(٢) انظر ــ على سبيل المثال ــ الديوان: ١/ ٣٤١، ٢/ ٩٥، ١٠٦، ١٨٣، ٢٧٧ .

ليلا، فينير وجهها الليل؛ فيستجير الليل من سناها بشعرها، وهو تصوير بما فيه من تجسيد وتشخيص غاية في الروعة، يقول فيها[1]:

وَمُهْفَهَفٍ أَشْكُو فَظَاظَةَ عَاذِلٍ ∴ يُزْرِي عَلَيَّ إِلَى لَطَافَةِ خَصْرِهِ
أَسْرَى فَجَابَ سَنَاهُ أَرْدِيَةَ الدُّجَى ∴ حَتَّى اسْتَجَارَ اللَّيْلُ مِنْهُ بِشَعْرِهِ

وقد عبر عن المعنى نفسه ببيتين آخرين ــ وإن كان البيت السابق أروع وأجمل لإيجازه ووضوحه ووفائه بالمعنى ــ وهما قوله[2]:

أَقُولُ لَهَا وَاللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ ∴ عَلَيْنَا وَلَمْ يَهْتِكْ جَوَانِبَهُ الفَجْرُ
وَقَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا فَتَمَزَّقَتْ ∴ دُجَاهُ وَلَكِنْ رُدَّ ظُلْمَتَهُ الشَّعْرُ

ومع كثرة الزيارات النسائية له، فقد يقوم ــ هو ــ ببعض الزيارات إلى حبيباته أو إحداهن أو إلى أحبائه في آخر الليل، كما في قوله ــ في تلك الصورة البيانية ــ :

طَرَقَتْهَا وَالدُّجَى شَابَتْ ذَوَائِبُهْ ∴ وَالفَجْرُ مُقْتَبِلٌ فِي زِيِّ مُكْتَهِلِ[3]

وقد تقتصر الزيارة النسائية له على طيف الحبيبة ــ وهي كثيرة[4] ــ والطيف لا يجلبه إلا الذكر والشوق والشجن في أثناء الليل، فندما تهيج الذكرى مشاعره ووجدانياته، يأتيه طيف الحبيبة مسرعا:

هوالطَّيْفُ تُهْدِيهِ إِلَى الصَّبِّ أَشْجَانُ ∴ وَلَيْسَ لِسِرٍّ فِيكَ يَا لَيْلُ كِتْمَانُ[5]

وهو دائم الشكوى من الفجر والبرق والنور لأنها تنم عن زيارة الطيف، ومنها تلك الزيارة التي يتمنى فيها حين أتاه طيف حبيبته أن يستمر ليله ولا ينقضي ليسعد بوصال حبيبته حتى ولو في

---

(١) ٢/ ١٠١ .
(٢) ٢/ ١٣٦، وانظر ٢/ ١٨٨ .
(٣) ١/ ٥٨٩، وانظر: ١/ ٢٤٣، ٢٧٢، ٣٠٣ .
(٤) انظر على سبيل المثال: ١/ ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٥٩، ٤٤٥، ٦٣٤، ٢/ ١٤ .
(٥) ١/ ٢٤٦ .

الخيال، وهذا قمة التعلق بالحبيبة، والليل هنا عنصر إسعاد وراحة للشاعر، يقول فيها[1]:

أَتَى طِيفُها واللَّيلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ ∴ وَوَدَّعَنَا والصُّبحُ تَلفِظُهُ الحُجْبُ
ولله زَوْرٌ لم يُغَيِّرْ عُهُودَهُ ∴ بِعَادٌ ولا أهْدَى المَلالَ لَهُ قُرْبُ
تمنيتُ أن الليلَ لم يقْضِ نحْبَهُ ∴ وأنْ بَقِيَتْ مرْضَى على أفْقِهِ الشُّهْبُ

والصورة تجمع بين مجموعة من المتقابلات الخيالية والنفسية والطبيعية، وانتهاء الليل عنده لشدة تعلقه به موت له ــ أى لليل ــ وكأنه لن يعود، ومن ثم فهو يتمنى بقاءه ــ لم يقض نحبه ــ وأن تظل النجوم شاحبة على جوانبه، ليدوم وصال خيال المحبوبة له .

وبينه وبين الليل أنس وصلة لكثرة ارتحاله وأسفاره فيه، ويعينه على أسفاره ناقته القوية السريعة[2]:

أنَا والمَطِيُّ وَجُنْحُ لَيْلٍ مظْلِمٍ ∴ وَلَدَيَّ إن نَزَلَ الهَوَانُ رَحِيلُ[3]

وهو يؤثر الصحبة، فكما يستعين بالناقة أو الفرس، فإنه يستعين بالصاحب في أسفار الليل، فقول:

وليْلٍ طويلِ الباعِ فرَّقْتُ شَمْلَهُ ∴ بِخِرْقٍ جَمِيعِ الرَّأْيِ غَيْرِ شَتِيتِهِ[4]

وكما يرتحل ــ ليلا ــ إلى المحبوبة فقد يرتحل إلى الممدوح، فيمتطى جواده، ويسرى الليل كله حتى يصل إليه ، فيقول:

إلَيْكَ امْتَطَيْتُ الخيلَ والليلَ والفَلا ∴ وَقَدْ طَاحَ فى الإدْلاَجِ كُلُّ هِدانِ[5]

وكما كان مخلصا فى حبه فيقضى الليل فى الوصول إلى الحبيبة، فقد كان مخلصا فى وفائه، فهو يقضى الليل فى نظم قصائد

---

(١) ١/ ٢٣٥ .
(٢) انظر ــ على سبيل امثال ــ ١/ ١٨٦ ، ٢٠٢، ٤٠٩ .
(٣) ١/ ٥٣٧ .
(٤) ٢/ ٨٦. فرقت شمله: سافرت فيه. بخرق: بصاحب .
(٥) ١/ ٣٩١. الإدلاج: سير الليل كله. هدان: جبان أو أحمق، وهو فى هذا البيت متأثر ببيت المتنبى:
فالخيل والليل والبيداء تعرفنى ∴ والسيف والرمح والقرطاس والقلم

المديح، ثم يكتبها نهارا، وكأنه بذلك يقضى ـ عمره ـ ليله ونهاره فى مدح أمير المؤمنين والثناء عليه، وقد عبر عن ذلك بقوله[1]:

وإلى أمـير المـؤمنين تَطلَّعَـتْ ∴ مِـدَحٌ كما ابتسَمَ الرِّيـاضُ تُحَـبَّرُ
ويُقِـيمُ مَانِـدَهُن ليـلٌ مظلـمٌ ∴ ويضُـمُّ شـاردَهُنَّ صُـبْحٌ مُسْـفِرُ

ومن خلال ما تقدم؛ يتأكد لنا أن الليل يكـون مصـدر إسـعاد للأبيوردى عندما يأتيه بحبيبته أو بطيفها وعندما يقضيه فى الرحلـة إلى الحبيبة أو الممدوح، وعندما يقضيه فى قرض الشـعر، وكـذلك عندما يستعين به على أعدائه، ويؤثر أن يهاجمهم فى الظلام حتـى يصبحهم بيوم شديد على أنفسهم، كما فى قوله:

أراقـبُ ليلـةً فـيهم عَمَاسًـا ∴ تمَخَّـضُ لِى بِيَـوْمٍ أَرْوَنَـانِ[2]

وـ كذلك ـ عندما يقضيه هو أو ممدوحه فى تدبير الأمـور، وينام الآخر فى غفلة وخوف وعجز، كما فى قوله:

ينَـامُ والثَّـائرُ الحَـرَّانُ يُقْلِقُـهُ ∴ سَحَابَةُ اللَّيْلِ رَعْـيُ النَّجْمِ إِسْهَادَا[3]

وهو فى كل تلك الأحوال يرضى عن الليل، ويمدحه، ويرجـو بقاءه مدى الدهر، ولكنه يتبرم من الليل، ويضيق به ذرعا، ويشكوه، ويصوره خصما عنيدا لدودا ، عندما يقسو عليـه بكثـرة النـوازل والدواهى والخطوب، وكذا عندما يقف حائلا دون تحقيـق بطولاتـه وانتصاراته على أعدائه، وذلك مع كونه صاحب نفس أبية لا تستسلم للذل وإن تكدرت عليها الليالى، كما قال:

وما استهدفتُ للذلِّ حـينَ تكـدَّرتْ ∴ عليهـا اللَّيـالى فالقَناعَـةُ جُنَّتِـى[4]

ولا يبيح بالشكوى حين يفتخر بنفسه، كما قال:

قضَتْ وطَرًا منِّى الليالى فلم أَبُحْ ∴ بِشَـكْوَى ولم يَـدْنَسْ على قمـيصُ[5]

---

(١) ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .
(٢) ١/ ٤٤٠ ـ عماس: مظلم: أروناَن: شديد .
(٣) ١/ ١٩٨ . سحابة الليل: طوله رعـي الـنجم: السـهر. حـرن بالمكان: لزمه. وانظر ١/ ٣١٦ .
(٤) ٢/ ٢٦ .
(٥) ٢/ ١١٥ .

ومع إبائه وعزة نفسه، فإنه يجأر بالشكوى من الليالى حين تقسو عليه بكثرة النوازل التى يبيض منها شعره أو ينخنى منها ظهره وتعوج قامته، كما فى قوله[1]:

خَلِيلَيَّ ما بالُ الليالى تلقتبْ ∴ إليَّ بأعْناقِ الخُطُوبِ الطَّوارِقِ
وأعْقبنِي قبلَ الثلاثين صَرْفُها ∴ بِسُودِ دَواهِيها بِيَاضَ المَفارِقِ

وحين يضايقه الليل ويطول عليه بسبب النوازل والخطوب ؛ فإنه ينتظر الفرج ويرقب ضوء الفجر فى وسط الظلام:

وانتظرُ العُقبَى وإنْ بَعُدَ المَدَى ∴ وأرقبُ ضوءَ الفجْرِ والليلُ دامِسُ[2]

وعندما يتعلق الأمر بطلب المعالى التى لا تتحقق إلا فى النهار، فإنه يشكو مكث الليل وطوله ويتمنى زواله، حتى لا يقف حائلا دون تحقيق بطولاته وانتصاراته، وقد عبر عن ذلك بقوله[3]:

أزُهَيْرُ إنَّ أخاكَ فى طَلَبِ العُلا ∴ أدْنَى صَحابَتِه الحُسامُ المِخْذَمُ[4]
خاضتْ به ثُغَرَ الفَيافِى والدُّجَى ∴ خُوصٌ نَماهُنَّ الجَديلُ وشَدْقَمُ[5]
يَجْتابُ أرْدِيَةَ الظَّلامِ بِمِهْمَهٍ ∴ يَنْسَى الصَّهِيلَ بِه العِصانُ الأدْهَمُ
ويَضِيقُ ذَرْعُ المُهْرِ أنَّ لا يَنْجَلِى ∴ ليلٌ بأذْيالِ الصَّباحِ يُلَثَّمُ
ولَهُ إلى الغَرْبِ التفاتَةُ وامِقٍ ∴ يُمْرِى تَذَكُّرَةُ الدُّموعَ فتَسْجُمُ
وكأنَّهُ مِمَّا يَمِيلُ بِطَرْفِهِ ∴ قَبَلٌ لِمَغارِبِ بالثُّرَيَّا مُلْجَمُ
عتقَتْ عَلَىَّ أليَّةٌ تَحْبُرُها ∴ هَمٌ بِمُعْتَرَكِ النجومِ مُخَيِّمُ[6]
والليلُ يُوطِئُ مَنْ تَوَرَّفُهُ المُنَى ∴ خَدَّاً بأيدِى الأرْحَبِيَّةِ يُلْطَمُ

فالليل ــ هنا ــ أهم عناصر الصورة؛ فهو ثقيل على قلبه، وقد ضاق به ذرعا بسبب طوله، وأخذ يلتفت إلى الغرب، وكأنه لشدة

---

(١) ٢/ ٥٥ وانظر: ٢/ ٨٥ .
(٢) ١/ ٥٧٢ .
(٣) ١/ ١٧٢ وما بعدها .
(٤) المخذم: القاطع .
(٥) خوص خوصا: غارت عينه وضاقت وجديل وشدقم : فحلان من الإبل للنعمان بن المنذر عرفا بعلو النسب .
(٦) ألية: يمين. وعتقت عليه اليمين وجب حفظها ولم يحنث بها. المعترك: موضع الازدحام . ومعترك النجوم: السماء.

التفاته ألجم بالثريا لشدة شوقه إلى غروب الثريا وظهور الصباح، ليخلص من وحشة الليل الذى امتلأت سماؤه بالنجوم، وكان ظلامه وطاء من تؤرقه المنى، ويستبد به الأرق ٠

فالصورة فى هذه الأبيات مظلمة قاتمة، جللها بالسواد هذه النفس المؤرقة التى سيطر عليها السهاد والسهر ؛ بسبب بعد المسافة ووحشة الطريق وشدة الظلام، فالجو النفسى يخيم على الصورة بالضيق والسواد ؛ مما جعل إطارها العام يعبر عما يقاسيه الشاعر، ويكشف عن حالته النفسية، وقد أجاد الشاعر حين جعل مهره الذى يصاحبه هذه الرحلة فى هذا الليل يعانى مما يعانيه، ويضيق قلبه، ويسيطر عليه الخوف لمهابة هذا المهمة وشدة الظلام، وتكشف الصورة عن البعد المكانى الذى قطعه الشاعر، والبعد الزمانى الذى فضل فيه السير وهو الليل٠

والليل فى مواطن الضيق السابقة ليس مقصودا لذاته، فالدواهى والنوازل لا تفرق بين الليل وبين النهار، وأرى أن سبب ربط النوازل بالليل يرجع إلى عامل نفسى عند الإنسان بصفة عامة، فالليل مظلم وموحش، ولا يرى الإنسان ما يدور حوله فيه بخلاف النهار؛ فإن الإنسان يستطيع أن يرى الخطر أو الشر ــ نهارا ــ فيتقيه، والنوازل حين تنزل بالإنسان، فإنه يفاجأ بها ولا يراها قبل وقوعها، ومن ثم فقد ارتبطت بالليل لما بينهما من تجانس وتوافق٠

والأمر بالنسبة للنهار، لا يختلف عن الليل، فأحيانا يسر الشاعر، ويجلب له السعادة، وذلك عندما يحقق فيه بطولاته وطموحاته وانتصاراته، وأحيانا كثيرة يكون ــ له ــ عنصر ضيق وتعاسة وذلك عندما يفضح أمره ويفرق بينه وبين حبيبته، وهو فى

معظم الأحوال إذا مدح الليل ذم النهار، وإذا شكر النهار شكى الليل، فكما أنهما لا يجتمعان فى الطبيعة ــ كما صور ذلك بقوله:

وَالْوِيَةُ الصُّبْحِ مُذْ فُصِمَتْ ∴ عُرَا اللَّيلِ مُنْتَشِرَاتُ الْعَذَبْ[1]

وقوله ــ فى المديح ــ يلتقط صورة الصبح إذا أسفر، وبسفوره يختفى الليل:

كذلك الصبحُ إن هزَّتْ مناصِلَهُ ∴ يَدُ السَّنَا فقميصُ الليلِ مَقْدُودُ[2]

ــ فإنه فى غالب الأمر لا يرضى عنهما معا . ومع ذلك فلابد من بعض المواقف التى يرضى فيها الشاعر عن الليل والنهار ويجمع بينهما بكامل الرضا، ولا يرى بأسا فى ذلك . ولابد أن يتمخض الليل بصبح جديد، ولابد لطلب النجح من السرى ليلا؛ كما قال:

فضوءُ الصُّبْحِ مُرْتَقَبٌ لِسَارٍ ∴ تَرَدَّدُ بينَ أَثْنَاءِ الظَّلامِ[3]

وهو يجمع بينهما فى الصور المجازية، فجواده يجمع فى لونه بين بياض النهار وسواد الليل:

كَسَا الفجْرُ من نُورِهِ صفْحَتَيْـ ∴ ـهِ والليلُ ألْبَسَهُ من دُجَاهْ[4]

ويصف سيفه اللامع بالنهار فى وسط العجاج الذى يشبه الليل؛ فيقول:

وأبْيضُ إن لاحَ خِلْتَ العَجَا ∴ جَ لَيْلاً بِذَيْلِ الصَّباحِ انْتَقَبْ[5]

ويكنى عن الشباب بالليل وعن المشيب بالصبح، وقال يصف حاله وقد اشتعل رأسه شيبا:

فانْجَابَ ليْلُ شَبابٍ كنتُ آلَفُهُ ∴ إذْ لاحَ صبْحُ مَشِيبِى فى حَوَاشِيها[6]

---

(١) ٢/ ٥ العذب : الأطراف والحواشى .
(٢) ١/ ٣١٨ .
(٣) ٢/ ٢٩ .
(٤) ١/ ٣٨٤ ، وانظر: ١/ ٦٤٠ .
(٥) ٢/ ٧. وانظر: ٢/ ٤٨ .
(٦) ١/ ٤٧٧ وانظر: ١/ ٦٢، ٢/ ٩٤ .

والأبيوردى لا ينسى أن يشير إلى طبيعة الليل التى فطره الله عليها، فهو حين يسدل أستاره على الدنيا؛ فإنه يحول الضياء إلى ظلام، والحركة إلى سكون، ويكون سترا لمن سرى فيه، فيقول:

سَرَتْ وظلامُ الليلِ سِتْرٌ على السَّارِى ∴ وقدْ عَرَّجَ الحَادِى ببطْحَاءِ ذِى قَارِ[1]

والليل عند الأبيوردى ــ كما قلت من قبل ــ موضع اهتمام كبير بخلاف النهار، فقد عبر عن أجزائه وصفاته، فذكر أوله[2]، ووسطه[3]، وآخره[4]، وطوله[5]، وقصره[6]، وشدة ظلمته[7]، وطيبه[8] وغير ذلك من الصفات التى يتصف بها الليل[9]، فالليل ظاهرة طبيعية يمتد من مغرب الشمس إلى طلوعها، ويقابله النهار، ولهما فى مخيلة الشاعر وحياته وقع كبير، وإن فاق الليل النهار فى كثير من الصور لتعلق الشاعر به وإحساسه بأنه فى كثير من الأحيان مصدر متعة وإسعاد له . ومن ثم فهو يحبه ويحرص عليه ويفضله . وقد عنى فى شعره بأهم مكونات الليل والنهار، وهى الشمس والقمر والنجوم والكواكب وسوف أعرض لها بشئ من التفصيل على الصفحات التالية .

---

(١) ١/ ٢٥٨ . ذى قار: موضع كان به معركة بين كسرى وبكر بن وائل، وتحقق النصر فيه أول يوم للعرب.
(٢) انظر: ٢/ ١٣٥ .
(٣) انظر: ١/ ٣٤٢ .
(٤) انظر: ١/ ٣٢٦ .
(٥) انظر: ١/ ٣٢٦ .
(٦) انظر: ٢/ ٢٨٥ .
(٧) انظر: ١/ ٣٨٣، ٥٦٢ .
(٨) انظر: ١/ ٤٧٦ .
(٩) انظر: ١/ ٣٣٢ ــ ٤٣٣ .

## ثانيا: الشمس والقمر والنجوم والكواكب:

إن حياة الإنسان العربى مرتبطة ـ منذ القدم ـ فى الليل والنهار بالشمس والقمر والنجوم والكواكب، ومن ثم فقد أكثر من ذكرها لشدة اعتماده عليها وارتباطه بها، وقد أضاءت الشمس وأنار القمر وبزغت النجوم وتلألأت الكواكب فى سماء ديوان الأبيوردى فى مواطن كثيرة؛ منها ما جاء على سبيل الحقيقة، ومنها ما ورد على سبيل المجاز؛ فالشمس لها تأثير قوى فى الكائنات ومنها الإنسان، فهى تغير ألوان البشر بأشعتها القوية حين يتعرضون لها ـ وهى صورة حقيقية يدركها الإنسان بسهولة ـ وقد أشار شاعرنا إلى ذلك بقوله:

**لَئِنْ لَوَّحَتْنَا الشمسُ ـ والبُرْدُ مُنْهَجٌ ـ ∴ فقدْ يبلُغُ المجْدَ الفَتَى وَهْوَ أَسْمَالُ**[1]

وهو يرقب صورة الشمس عند الغروب؛ فيراها مصفرة ـ وهى صورة حقيقية ـ، وكأنها تنثر التبر على الأفق ـ وهى صورة مجازية ـ فيلتقط هذه الصورة ليشبه ألوان خيله وقد تلطخت بدماء الصرعى بلون الشمس فى تلك الحالة ـ وهى صورة مجازية ـ؛ فيقول:

**كأن الشمسَ قد نَضَحَتْ جيادِى ∴ بِذَوْبِ التِّبْرِ إذْ جَنَحَتْ أَصِيلا**[2]

وشاعرنا بطل مغوار، لا يمل الحرب والنزال، ومن ثم فصورة المعارك الحربية ماثلة فى ذهنه ولا تفارق خياله، والشمس ـ من كثرة الحروب وشدتها ـ قد تأثرت بنقع الحرب الذى كاد يحجبها، ويحول دون وصول أشعتها إلى الكائنات ، وكأنها بسبب هذا الغبار الكثيف المتطاير الذى يملأ الأفق قد مرضت وعجزت عن دورها فى الحياة، وهو يصور هذا المشهد فى صور مجازية كثيرة[3] منها قوله:

**ويومٍ تظلُّ الشمسُ فيه مريضَةً ∴ لِنَقْعٍ بِجِلْبَابِ الضحى يَتَضَبَّثُ**[4]

---

(١) ١/ ١٢٠ . لوحتنا: غيرتنا ألوانا. أنهج الثوب: أخذ فى البلى. برد أسمال: خلق.

(٢) ١/ ٤٠٠ .

(٣) انظر: ـ على سبيل المثال ـ ١/ ٣٧٨ ، ٣٩٣، ٢/ ١٠٦ .

(٤) ١/ ٢٣٠. الضبث: القبض والأخذ بشدة. جلباب الضحى: عبارة عن ارتفاع نقع الحرب.

وأتى فى هذا المقام بمعنى لم يسبق إليه ــ وهو من باب المجاز ــ فقد جعل الغبار حيث وارى الشمس وثنى أعنة العيون عنها غيران، يذب عن حرمه ويواريها؛ لأن الشمس تشبه بها الحسناء، وعليها تكون الغيرة، وذلك فى قوله:

وغَارَعلى الشمسِ العَجَاجُ فإنْ سَمَتْ ∴ لِتَلْحَظَهَا عَيْنٌ ثَنَتْهَا القَسَاطِلُ[1]

ويأتى بصورة حربية أخرى؛ فقد لا تصل أشعة الشمس إلى الأرض بسبب كثرة الأسنة التى تحول دون وصولها إلى الأرض على رءوس الأبطال فى ميدان القتال، فيقول:

تَرُدُّ شُعَاعَ الشمسِ عنهم أَسِنَّةٌ ∴ تَذُوبُ على أطرافِهِنَّ أيَاتُهَا[2]

وهو يشخص الشمس، ويطبعها بطابع نفسه، ويجعلها تشاركه أحزانه، وتأسى لأساه ، ويشحب لونها، ويمور شعاعها لفقد الصديق؛ فيقول فى رثاء الملك:

والشمسُ شاحبةٌ يمورُ شعاعُهَا ∴ مَوْرَ الغَدِيرِ طَفَتْ بِهِ النَّكْبَاءُ[3]

فصورة الشمس ــ التى تعد من أهم مكونات الطبيعة فى النهار ــ غلب عليها الاستعمال المجازى فى مجالى المدح والحرب.

وللقمر سحره وجماله، وله أهميته فى حياة العربى، وهو رمز الجمال فى الشعر العربى كله فى القديم والحديث، والأبيوردى ــ كغيره من الشعراء ــ يجعل حبيبته وممدوحيه أحسن وأجمل وأنور من القمر[4]، وكلها صور مجازية، فحبيبته استأثر وجهها بالحسن كله فى قوله:

وَأَغْيَدَ يَحْوِى وجهُهُ الحُسْنَ كُلَّهُ ∴ وَيُنْكِرُ أنَّ البدرَ فيه شريكُهُ[5]

---

(١) انظر: الديوان ١/ ٣٧٥ . القساطل: جمع قسطل وهو الغبار.
(٢) ١/ ٢٨٢. السنان: نصل الرمح ــ الأياة: ضوء الشمس.
(٣) ١/ ٢٦٥ . النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصبا.
(٤) انظر ــ على سبيل المثال ــ : ٢/ ٩٥، ٢٧٨، ٢٩٥ .
(٥) ٢/ ٣٧ .

ويجعل وجوه ممدوحيه فى أعلى درجات البهاء والنور، وهى إن أشرقت ورأتها عيون الناس؛ لم ترض بعد ذلك دون القمر؛ لأنها أحسن وأنور منه، فيقول[1]:

وَأَوْجُهُهُمْ إِذَا بَرَقَتْ تَجَلَّتْ .·. عَلَيْهَا هَيْبَةٌ حَضَنَتْ جَمَالا
وَإِنْ أَشْرَقْنَ فَاكْتَحَلَتْ عُيُونٌ .·. بِهَا لَمْ تَرْضَ بِالقَمَرِ اكْتِحَالا

وللكواكب والنجوم منزلة رفيعة فى حياة العربى، فهو يتطلع إليها فى مواطن الشموخ، ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر، ويأخذ منها المثل الأعلى فى الرفعة والسمو ، وهى قد بزغت كثيرا فى شعر الأبيوردى وتلألأت صورتها فى بدايات الليل ونهاياته، وهى مرتبطة بسهر الشاعر ورحلاته وتنقلاته وعلاقاته وحالاته النفسية، وقد عرضت لكثير منها فى أثناء الحديث عن الليل والنهار، وهو قد يذكرها على سبيل العموم، وقد يخص بعضها بالذكر، وهذا يدل على علمه بالنجوم وعالم الأفلاك، وقد تأتى النجوم على سبيل الحقيقة، وقد يراد بها المجاز فى صور كثيرة، فهو يخص "السها" ــ كوكب صغير خفى الضوء فى بنات نعش الكبرى أو الصغرى ــ بالذكر فى مواطن كثيرة[2]، منها قوله يفتخر:

أنَا الذى وَطِئَتْ هامَ السُّهَا هِمَمِى .·. ولم يكُنْ نَسَبِى فى الحَيِّ مُؤْتَشَبا[3]

وخص "الثريا"[4] بالذكر فى مواطن كثيرة[5]، منها ما جاء على سبيل الحقيقة، كقوله:

---

(١) ١/ ١٤٥ .
(٢) انظر ــ على سبيل المثال ــ ١/ ٦٢٧ ، ٦٣٢، ٢/ ٥٨ .
(٣) ٢/ ٢٢٦. المؤتشب: المختلط .
(٤) الثريا: مجموعة من النجوم فى صورة الثور، وهى عند الغروب تشبه بالقرط والعنقود، وعند طلوعها تشبه بالكأس وعند وقوفها فى وسط السماء بالقدم.
(٥) انظر: على سبيل المثال ٢/ ٧٩، ٩٦ .

بَدَا والثُّرَيَّا فى مَفَارِقِهَا قُرْطُ ∴ بُرَيْقٌ شَجَانى والدُّجَى لَمَّ شُمْطُ[1]

ومنها ما جاء على سبيل المجاز، كقوله فى مقام الفخر:

وَإِنِّى لَتَسْمُو بِى إلى المَجْدِ هِمَّةٌ ∴ تَوَدُّ الثُّرَيَّا أن تكونَ وِشَاحَهَا[2]

ويجمع بين السها والثريا[3] فى مقام الفخر، وخص "العيُّوق"[4] بالذكر فى مقام الفخر، فقال:

مَجْدٌ على هَامَةِ العَيُّوقِ مَرْفُوعُ ∴ رَاقَ الوَرَى منه مرئىٌّ ومَسْمُوعُ[5]

وجمع بينه وبين الثريا، لأنهما يطلعان معا[6]، وخص "السِّماك"[7] بالذكر فى قوله:

وإنْ لم تُطِقْها فاعتصِمْ بابنِ حُرَّةٍ ∴ لِهَمَّتِهِ فَوْقَ السِّماكِ مَقِيلُ[8]

وذكر "الجَدْىَّ" و"الفَرْقَد"[9] فى مقام المديح، فقال:

جَذَبْتَ بِضَبْعَىْ فامْتَطَى الشُّهْبَ أَخْمَصِى ∴ فلَمْ انْتَعِلْ إلّا جَدْيًّا وفرْقَدَا[10]

وذكر "الشهب"[11]، وقد يقصد بها الشهب الثواقب فى صورتها الحقيقية التى تتبع الشياطين، كقوله يشبه أعداءه بالشياطين، وكأن من عاداه فقد عادى الله ورسوله، فهو فى جهاد فى سبيل الله:

---

(١) ١/ ١٨١ .
(٢) ٢/ ٨٨ .
(٣) ٢/ ٢٧٤ .
(٤) العيوق: نجم أحمر مضئ فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمه.
(٥) ٢/ ٢٤ .
(٦) ١/ ٢٠٦ .
(٧) السماكان: نجمان نيران أحدهما فى الشمال وهو السماك الرامح والآخر فى الجنوب وهو الأعزل.
(٨) ٢/ ١٠٣ .
(٩) الجدى: نجم قريب من القطب تعرف به القبلة. والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالى. ثابت "النجم القطبى" .
(١٠) ٢/ ١٤٤ .
(١١) الشهب: هى النجوم السبعة المعروفة بالدرارى لشدة لمعانها .

مَشَوْا إليها بأَسْيافٍ كما انْكَدَرَتْ ∴ شُهْبٌ ثَواقِبُ فى إثْرِ الشَّياطِينِ[1]

وهو شديد الإعجاب بالسبعة الشهب، ومولع بعيون الروم وما فيها من سحر ، ومن ثم فقد شبه الشهب ــ النجوم اللامعة ــ فى الليل بعيون الروم لصفائها وتوقدها، وشبه سواد الليل حول النجوم بأجفان السودان، وهو تشبيه غاية فى الجودة، حيث جمع بين أشياء فى غاية البعد، وألف منها هذه الصورة، فقال:

والشُّهبُ تَحْكِى عيونَ الرُّومِ خيطَ علَى ∴ أحْداقِها الزُّرْقِ للسُّودانِ أجْفانُ[2]

وللسبعة الشهب صور متنوعة فى شعره فى مواطن كثيرة[3].

وحديثه عن النجوم ــ بصفة عامة ــ يجنح إلى المجاز، ويكشف عن نظرته إليها،وأنها فى منزلة عالية لا يرقى إليها إلا هو أو ممدوحوه، وقد يشخصها ويلبسها ثوب المرأة الجميلة التى كحلت عينيها بالإثمد، كما فى قوله يصف جياده فى ميدان الحرب:

إذا هُنَّ نَبَّهْنَ الثَّرَى مِنْ رُقَادِهِ ∴ ذَرَرْنَ بِهِ فى مُقْلَةِ النَّجْمِ إثْمَدَا[4]

وهو يفتخر بنفسه فلا يجد لقدميه موطئا سوى قمة النجم[5]، وكذلك حين يمدح قومه[6]، وحين يفتخر بكرمه فإن نيرانه تضيق عنها الأرض، وتكاد تصعد إلى السماء، فترمى النجم بالشعل؛ وهى صورة تشخيصية خيالية، يقول فيها:

فَلا رفَعتْ لِسَارِى اللَّيلِ نارَ قِرًى ∴ تكادُ تَرْمِى جَبِينَ النَّجْمِ بالشُّعَلِ[7]

---

(١) ١/ ١٢٩. انكدرت: أسرعت .
(٢) ١/ ٥١٠ .
(٣) انظر ــ على سبيل المثال ــ: ١/ ١٣٢ ، ٢٥٠، ٣٣٢، ٤٧٨، ٥٧٤، ٢/ ١٢٤، ١٦٩ .
(٤) ٢/ ٧٤ .
(٥) انظر: ٢/ ٦٨ .
(٦) ٢/ ١١٩ .
(٧) ٢/ ١٣٩ .

فصورة الطويات من النجوم والكواكب والشمس والقمر ماثلة فى ذهن الشاعر، وملهمة لخياله فى كثير من الصور التى حلق فيها وربط فيها بين الواقع والخيال، واتخذ منها مثلا عليا للجمال والسمو فى عالم الحياة والواقع.

## ثالثا: الماء:

هو سر الحياة والنماء، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (١)، ولا حياة للطبيعة بما فيها ومن فيها بغير الماء، والأبيوردى عاشق للطبيعة بكل ما فيها، ومن ثم وجدنا للماء فى ديوانه صورا كثيرة؛ فمرات يرى فى الأرض؛ يجرى فى البحار أو الأنهار أو الغدران أو فى صورة الندى، ومرات يرى فى السماء فى صورة السحاب أو المزن أو غير ذلك من الصور المائية المتحركة، وهذا يكشف عن طبيعة زاخرة بالحياة، وبيئة غنية بالخير والجمال عاش فيها الشاعر، وظهر أثرها فى شعره. ومن الصور المائية فى شعر الأبيوردى الصور التالية:

**الأنهار:** لشاعرنا حديث عن الأنهار العربية وغيرها فى شعره، يكشف عن معرفته بها، ثم عن تأثره بها واستلهامها فى شعره، وهو يجمع بين أشهر الأنهار العربية فى بيت واحد، فى صورة مجازية، يصف فيها ذيوع شعره الذى أنشده فى العراق، فاهتز له أهل مصر طربا، فيقول:

خَضِلَتْ بِدِجْلَةَ والفُراتِ ذُيُولُها ∴ فاهْتَزَّ من طَرَبٍ إليها النيلُ (٢)

(١) الآية: ٣٠ من سورة الأنبياء .
(٢) ١/ ٥٣٨ . خضل: ندى وابتل.

وهو يؤثر نهر دجلة بالذكر[1]، ويجمع بينه وبين نهر الكوثر فى بيت واحد[2]، ويجمع بين نهر الفرات ونهر زرنروذ بأصفهان[3] فى بيتين.

**الغدران:** الغدران سواء أكانت أنهارا صغيرة، أم قطعا من الماء يغادرها السيل، لها وقع كبير وأثر عظيم فى نفس الشاعر، ومن ثم فهو يكثر من ذكرها فى أشعاره، ولا يمل من استعمالها فى إبداعه وتصويره فى التصوير البيانى، وجاء الغدير على سبيل الحقيقة فى قوله ـ وقد أعجبه المكان وما يحويه من أشجار وظلال وارفة، وما يحيطه من المياه التى تبعث فيه الرقة والحياة والجمال ـ يصف مكان حبيبته[4]:

يا حبذا نجد وريا والحمى والأجرع
وظلة الأثل حوا ∴ ليه غدير مترع

وصورة الغدير وحركة مائه وأمواجه وما يحدثه فيه النسيم ـ صورة ـ ماثلة فى مخيلة الشاعر، ومن ثم فهو يعتمد عليها كثيرا فى توضيح ورسم الصور البيانية، كتشبيه الدرع بالغدير[5]، ومنها قوله:

أجر ذيالها كالغدير ∴ إذا ما النسيم اعتراه زهاه[6]

وتشبيه حركة شعاع الشمس بحركة ماء الغدير حين تهب عليه الرياح[7]، وتشبيه الغدير وأمواجه بالسيف وفرنده[8]، وقد يشخص

---

(١) انظر: ١/ ٦٢٠ .
(٢) انظر: ١/ ٣٤٥ .
(٣) انظر: ١/ ٥٦٩ .
(٤) ٢/ ٢٣٤ ، وانظر: ٢/ ٢٨٦ .
(٥) انظر: ١/ ١٤٨، ٢/ ٥٧ .
(٦) ١/ ٣٨٤ .
(٧) ١/ ٢٦٥ .
(٨) ١/ ٤٠٨ .

الغدير ويلبسه ثوب الإنسان فى مواطن كثيرة[1]، وقد يجعل الغدران كالدنان[2]، وأحيانا يعبر عن حركة الماء فى الغدير[3]، فصورة الغدير عند شاعرنا تدور بين الحقيقة والمجاز وإن أكثر من الأخيرة فى شعره، وكلها ناطقة بالحياة والرقة والحركة والجمال، وفى مقام الرثاء يجعل الموت كالغدير، وكأنه كأس وكل الناس شاربه، فيقول:

شَرِبَ الأوائلُ عُنْفُوَانَ غَدِيرِهِ ∴ وَلَنَشْرَبَنَّ بِهِ مِنَ الأَسْآرِ[4]

**المزن والسحاب[5] والغمام ...الخ:** السحاب المحمل بالماء بشير بخير، وبخاصة فى الصحارى والوديان وعلى منابت الشجر، وقد هطل بغزارة، وغطى مساحة واسعة فى ديوان الأبيوردى، واستعمله شاعرنا فى مواطن كثيرة وصور متعددة؛ وذلك على سبيل الحقيقة أو المجاز، ومنها قوله ــ من باب الحقيقة فى مطلع إحدى قصائده ــ وقد نظر إلى منعطف الوادى، وكان المزن سيالا:

نَظَرْتُ خِلالَ الرَّكْبِ والمُزْنُ هَطَّالُ ∴ إلى الجِزْعِ هل تَرْوَى بِوَادِيهِ أَطْلَالُ[6]

وقوله ــ وقد رأى البرق خلال الغمام ــ يصف سحابة قريبة من الأرض، وقد كثر ماؤها وروت الروض بما فيه من أزاهير طويلة ملتفة تستر وجه الأرض، وهى صورة توحى بالحياة والجمال[7]:

كَأَنَّ خِلالَ الغَيْمِ مِنْ لَمَعَانِهِ ∴ يَدَيْ قَادِحٍ يَرْفَضُّ مِن زَنْدِهِ سِقْطُ[8]

---

(١) انظر: ١/ ١٧٠، ٣٤٥، ٤٥٥، ٢/ ١٣٦ .
(٢) ١/ ٤٠٣ .
(٣) ١/ ٦٥٩ .
(٤) ١/ ٤١٣ .
(٥) السحاب: الغيم سواء أكان فيه ماء أم لم يكن. والمزن: السحاب يحمل الماء .
(٦) ١/ ١١٦ ، الجزع: منعطف الوادى.
(٧) ١/ ١٨٢ .
(٨) يرفض: يتفرق النار منه .

تَنَاعَسَ فِي وَطْفَاءَ إِنْ حَلَّتِ الصَّبَا ∴ عَزَالِيَهَا بِالْوَدْقِ عَيَّ بِهَا الرَّبْطُ[1]
فلا بَرِحَتْ تَرْوِي الغَمِيمَ بِوَابِلٍ ∴ يَدُرُّ عَلَى رَوْضٍ أَزَاهِيرُهُ تَغْطُو[2]

والمطر له صوت يوقظ الرياض وينبه الزهور والعطور، ويجعل النبت الذابل مخضرا وذلك فى قوله:

فَلِلَّهِ حُزْوَى حِينَ أَيْقَظَ رَوْضَهَا ∴ رَشَاشُ الحَيَا وَالنَّجْمُ فِى الأُفْقِ وَسْنَانُ[3]

والإنسان بطبعه ميال إلى الحياة فى أماكن الماء والزرع، وقد عبر عن ذلك بقوله:

ونحنُ بحيْثُ المُزْنُ حَلَّ نِطَاقَهُ ∴ وَرَفَّ بِحِضْنَيْهِ عَرَارٌ وَحَوْذَانُ[4]

وهو فى مواطن كثيرة يدعو بالسقيا لطيف الحبيبة[5]، ولربعها بالماء المصفى من الغمام[6]، ولدارها بالسقيا[7]، ويدعو لزوراء العراق بأن ينزل بها المطر، ويسقى أشجارها وما اطمأن من أرضها، وأن يجتمع مع المزن البرق والرعد حتى ينسكب الغيث، وقد التقت الأمواه بالنيران[8]، ويدعو لأشجار الحى بالسقيا[9]، وكذلك النوق المطيعة البارة[10]، و"كوفن" بلدته التى ولد فيها، يدعو لها بالسقيا، فهى مهد طفولته، ومرتع لهوه ولعبه، ويقول إن المزن إذا بخل عليها فسوف يرويها بدموعه، فيرسم صورة فيها مبالغة شديدة فى الوفاء تكشف عن البعد النفسى عند الشاعر ومدى ارتباطه بالمكان،

---

(١) تناعس: ضعف لمعانه . الوطفاء: المزنة الدانية من الأرض. العزالى: فم القربة .
(٢) الغميم: اسم موضع بالحجاز. الغاطية: الشجرة كثيرة الأغصان .
(٣) ١/ ٢٤٧، وانظر: ١/ ٢٠٩ .
(٤) ١/ ٢٤٧ .
(٥) انظر: ١/ ٢٥٩ .
(٦) ١/ ٣٢٤ وما بعدها .
(٧) ١/ ٤٨٦ .
(٨) ٦/ ٥١٢ .
(٩) ١/ ٤٧٧ .
(١٠) ١/ ٥٧٩ .

وعن البعد البيئى، فهى أرض رملية يقطنها الرعاة وطلاب الكلأ، ويدعو لأهلها بأن يظلوا فيها ولا يتركوها حتى يضمن لها ولمن فيها الحياة الرغدة الآمنة؛ يقول فيها[1]:

سَقَى اللهُ رَمْلِيْ كُوفَنٍ صَيِّبَ الحَيَا ∴ ولا بَرِحَا مُسْتَنَّ رَاعٍ ورَائِدِ[2]
وَلِي أدْمُعٌ إنْ أمْسَكَ المُزْنُ دَرَّةٌ ∴ كَفَلْنَ بِصَوْبِ البَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

والريح تأتى على الديار فتزيلها وتحولها إلى أطلال، والأمطار تعيد إليها الحياة، وهى إحدى صور الصراع بين عناصر الطبيعة فى البادية، وهو يصور ذلك بقوله:

دَارٌ عَلَى عَذَبَاتِ الجِزْعِ نَاجِلَةٌ ∴ تُمِيتُهَا الرِّيحُ والأمْطَارُ تُحْيِيهَا[3]

والمطر يبعث الحياة فى الكائنات ويجلب لها السعادة[4]، ولا يمكن الاستغناء عن الماء لكل الكائنات، وللشاعر به ارتباط شديد فى أوقات الوصال مع الحبيبة فى الليل حين يسهران معا حتى يبللهما الندى عند قرب الصباح وفى آخر الليل[5]. وهو يستعمل الأمطار فى مقام المديح ــ فى الصور البيانية ــ ليدلل على كرم الممدوح وكثرة عطاياه، وذلك فى مواطن كثيرة[6]،منها قوله ــ يصف كف الممدوح ــ:

بِكَفٍّ تُعِيرُ السُّحْبَ مِن نَفَحَاتِهَا ∴ فَتُرْخِي عَزَالِيهَا الغُيُوثُ الهَوَاطِلُ[7]

**ماء بعض الأماكن:** كما تخص الطبيعة الجميلة بعض الأماكن بالمياه العذبة، فالأبيوردى يخص مياه بعض الأماكن بالذكر لحاجة فى

---

(١) ٢/ ١١٠ .
(٢) الرائد: طالب الكلأ .
(٣) ١/ ٤٧٦. عذبات الجزع: أطرافه. نحول الديار: دقة رسومها.
(٤) انظر: ٢/ ٢١٦ .
(٥) انظر: ١/ ٤٣٣، ٢/ ٥٤، ١٨٤ .
(٦) انظر ــ على سبيل المثال ــ:١/ ١٢٨، ١٣٦، ١٦٠، ١٧٧، ٢٠٠، ٢١٣، ٣٠٦، ٣٤٤ .
(٧) ١/ ٣٧٥ .

نفسه أو لأمور تتعلق بالمكان وساكنيه، فهو يفضل الشرب من ماء جبل الريان، ولم يستطب بعد مائه ماءً؛ فيقول:

فيا جبلَ الرَّيَّانِ أينَ مواردٌ ∴ تركْتُ لها ماءَ الأُنَيْعِمِ صَادِيا[1]

وهو شديد التعلق بماء العذيب ووادية، ويتمنى الوصول إليه ليروى من مائه ظمأه وظمأ ركابه، فيقول:

هلْ أوْرِدَنَّ رِكَابِى وَهْيَ صَادِيةٌ ∴ ماءَ العُذَيْبِ فيُرْوِيهَا ويُرْوِينِى[2]

وفى مطلع إحدى قصائده يبشر ــ فى ستة أبيات ابتهاجا بالممدوح ــ بأن زمن النكد وسوء العيش فى طريقه إلى الزوال، وأن الماء الذى أحيا الله منه كل المخلوقات سيزداد، وماء "لينة" ــ بخاصة ــ لا يخلف من يرده، وريح الصبا تحث السحاب على الإمطار كلما أراد الإمساك بالماء، أولها، قوله[3]:

بُشْرَاكَ قدْ ظَفِرَ الرَّاعِي بما ارْتَادَا ∴ وَبَثَّ فى جَنَبَاتِ الرَّوْضِ أذْوَادَا[4]
فاسْتَبْدَلتْ بِمَجَاجِ الغَيْمِ أذْنِبَةً ∴ من ماءِ لِينَةَ لا يُخْلِفْنَ وُرَّادَا(...)

ومهره يشاركه أحاسيسه؛ فيشتاق إلى ماء بالأباطح سلسل، ولا يلتفت إلى ما فى قربته البالية من الماء، وهو يصور ذلك مناجيا فرسه، بقوله[5]:

أفِقْ من جَوًى يا أيُّهَا المُهْرُ إنَّنى ∴ وَإيَّاكَ فِي أهْلِ الغَضَى غُرَبَانِ
يَشُوقُكَ ماءٌ بالأباطِحِ سَلْسَلٌ ∴ وقدْ نَشَحتْ بالأبْرَقَيْنِ شِنَانِى[6]

---

(١) ١/ ١١٠. الريان: جبل بنجد. والأنيعم: مكان .
(٢) ١/ ١٢٦، وانظر: ١/ ٤٢٧. العذيب: قصر قريب من الكوفة، حواليه آبار وعيون كثيرة وهو الآن خراب.
(٣) ١/ ١٩١ ــ ١٩٢ .
(٤) الذود من الإبل: القطيع من الثلاثة إلى العشرة .
(٥) ١/ ٣٨٧ ــ ٣٨٨ .
(٦) الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الحصى والرمل. نشح : امتلأ. الأبرق: مكان. الأبرقان: جبلان. الشنان: جمع شن القربة البالية .

**رابعا: الريح والنسيم[1]:**

الرياح لها دورها الواضح والمؤثر فى عناصر الطبيعة، والأبيوردى وظفها توظيفا جيدا ـ فى أشعاره ـ يكشف عن وعيه وقوة ملاحظته لما يدور من حوله فى الطبيعة ، فهو يدرك هبوبها وحركتها وحرارتها وبرودتها وتأثيرها فى الكائنات .

ويأتى بها على سبيل الحقيقة أو من باب المجاز، فهى تأتى بالسحب الكثيفة؛ كما فى قوله:

**لازَالَ تُرْضِعُهُ أفَاوِيقَ الحَيَا .: وَطْفَاءُ يُنْتِجُهَا الصَّبَا لِتَمَامِ[2]**

ويصفها بالبرودة كما فى قوله:

**ضَرَبْنَ بِأَلْحِيهِنَّ والرِّيحُ قَرَّةٌ .: علَى قُلَّتَيْ أَرْوَنْدَ غِبَّ كَلالِ[3]**

ويصف حركتها بالتنفس كما فى قوله:

**فِللوَجْدِ قَلْبِى والمَدامعُ لِلبُكَا .: إذا لاحَ بَرقٌ أو تَنَفَّسَ رِيحُ[4]**

والريح توقظ الرياض، وتحرك الزهور، وتلاعب الأغصان فتميلها مرة وتعدلها أخرى وذلك فى مواطن كثيرة، منها قوله:

**والرِيحُ أيقظتِ الرياضَ وللحَيَا .: فيها إذا رَقَدَ العَرارُ شَهِيقُ[5]**

والريح إذا صاحبت الأمطار فهى ريح طيبة تعود بالخير على الإنسان والطبيعة، ومن ثم فهو يدعو لديار محبوبته أن تمر بها تلك الرياح، ثم تمر عليه فيستنشق تلك الريح الطيبة التى تأتيه من ديار الأحباب تحمل رائحتهم الطيبة، وهذه الصورة مكررة فى شعره[6]، ومنها قوله:

**أَستَنشِقُ الرِّيحَ تَسْرِى من دِيارهمُ .: وَهْنًا كأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ رَيْحَانُ[7]**

---

(١) النسيم: الريح اللينة لا تحرك شجرا ولا تعفى أثرا .
(٢) ١/ ٦٧٢ .
(٣) ١/ ٦٤٩ . القلة: قمة الجبل. أروند: جبل .
(٤) ٢/ ٣٥ وانظر: ٢/ ١١٨ .
(٥) ١/ ٢٠٩ وانظر ١/ ٢٨٦ .
(٦) انظر ـ على سبيل المثال ـ ١/ ٢٦١، ٤٩٥، ٥٩٢، ٦١٠ .
(٧) ١/ ٥١٢ .

وعندما تنشر الريح رائحة الحبيبة الطيبة، وتخبر الرقباء بلقائها مع الحبيب فى دجى الليل المظلم فإنه يلقى باللائمة عليها لا على العنبر، وعبر عن ذلك بقوله:

أَشْكُو إِلَى الحَجْلِ ما يأتِي الوِشَاحُ بِهِ ∴ وَأُلْزِمُ الرِّيحَ ذَنْبَ العَنْبَرِ الشَّمِلِ[1]

وهو يرقب حركة الريح حين تضرب ثياب الجميلات اللاتى يسرن فى الصحراء، فتمس تلك الثياب الأرض، فيلتقط هذا المشهد ويصوره بقوله:

سَرَوْا وفُضُولُ الرَّيْطِ تِضْرِبُها الصَّبَا ∴ إلى أن يَمَسَّ الأَرْضَ مِنهُنَّ رَفْرَفُ[2]

ولأن الريح اشتهرت بالسرعة ، وسرعتها تعد أحد مقاييس السرعة؛ فإنه أدخل معها بعض الأمور السريعة فى مضمار السباق، فجعل شعره ــ من باب المجاز ــ يسابق الريح[3]، والنعام الذى يضرب به المثل فى سرعة العدو يسابقها[4]، وكذا الإبل العاديات[5]، والممدوح ــ من باب المجاز ــ يسابقها فى سرعة البذل والعطاء[6]، وقد يصيبها التعب والإعياء والفتور والضعف حين تسرى فى الصحراء ــ الطويلة الممتدة الواسعة أو لأسباب أخرى يحسها الشاعر، كما فى قوله:

تَسْرِى بِعَقْوتِها الرِّيَاحُ لَوَاغِبًا ∴ ولَهُنَّ مِنْ حَذَرِ الضَّلالِ أَلِيلُ[7]

---

(١) ١/ ٢١٩ .
(٢) ١/ ٤٣٤ .
(٣) ١/ ٣٣٦ .
(٤) ١/ ٣٧٦ .
(٥) ١/ ٥٣٤ .
(٦) ١/ ٦١٥ .
(٧) ١/ ٥٣٧ . العَقْوة: اتساع الصحراء وامتدادها . لواغب: متعبة. أليل: أنين. وانظر: ١/ ٥٨٩، ٦١٠، ٢/ ٣٤ .

وتلك الريح اللينة (النسيم) لها صورة رائعة فى الطبيعة الجميلة، وأثر طيب فى نفس الشاعر، وقد صورها فى قوله الذى يكشف عن تجاوب الطبيعة معه ومبادلته الأحاسيس الرقيقة:

**يُهيِّجُهُ نَوْحُ الحَمَامِ ونَاسِمٌ .·. تَرِقُّ حَوَاشِيهِ مِنَ الرِّيحِ مُدنَفُ**(١)

وهى تنشر نفحة الشيح فتشفى نفس الشاعر، وهو مغرم باستنشاق النسيم فى الطبيعة الهادئة وفوق الربا، ومن ديار الأحباب، وقد عبر عن ذلك فى صور كثيرة(٢)، منها قوله:

**ونَفْحَةُ الشِّيحِ إذَا فَاحَ النسيمُ بها .·. من غُلَّةٍ أضْمَرَتْها النفسُ تَشْفِينِى**(٣)

وللنسيم أثرها الطيب فى الطبيعة النباتية المتحركة عندما تهب على الرياحين والأزاهير والرياض والأغصان فتحركها وتنشر الروائح الطيبة فى أرجاء الطبيعة، وكذا على الغدران حين تحرك مياهها، وفى الليل على الأحباب، وعلى الممدوح ، وقد صور الأبيوردى كل ذلك فى شعره(٤)، ومنها قوله:

**سَرَى والنسيمُ الرَّطْبُ بالروضِ يُعْبَثُ .·. خيالٌ بأذْيَالِ الدُّجَى يَتَشَبَّثُ**(٥)

وحين تفتر النسيم وتضعف، فإن الطبيعة تزدان بالجمال، وثغور الأقحوان تتفتح، كما فى قوله:

**والأقْحُوانُ ابتَسَمَتْ ثُغُورُهُ .·. غِبَّ مُنَاجَاةِ النَّسِيمِ إذَا وَنَى**(٦)

وهى تضعف إذا هبت ريح الصبا، ورواها المزن، وحين يتساقط القطر على أزاهير الروض، وقد صور تلك الطبيعة الساحرة بقوله:

**إذا الصَّبا نَسَمَتْ والمُزْنُ يُهْضِبُهَا .·. مَشَى النسيمُ على أيْنٍ يُنَاجِيهَا**(٧)

---

(١) ١/ ٤٣٢. مدنف: عليل .
(٢) انظر: ١/ ٣٤٥، ٥٢٣، ٥٥٠ .
(٣) ١/ ١٢٦ .
(٤) انظر ــ على سبيل المثال ــ : ١/ ٢٦٠ ، ٢٧٠، ٢٩٤، ٣٢٨، ٣٨٤، ٤٢، ٢/ ٧٧، ٢٥٧ .
(٥) ١/ ٢٢٥ .
(٦) ١/ ٦٢١ .
(٧) ٢/ ٢٨٧ . يهضبها: يرويها .

وقوله:

يلينُ له أديمُ الجوحتَّى ∴ يَصحَّ به ويعْتَلُّ النسيمُ[1]

وأختم حديثى عن النسيم بأثرها الطيب على الماء، فإنها عندما تمر به يبرد ويطيب للشاربين، كما فى قوله:

شَربْنا بها ماءً تغازلُهُ الصَّبَا ∴ فيصفُو ويقتاتُ النسيمَ فيَبْرُدُ[2]

## خامسا: الربيع والرياض والزهور والأشجار .. الخ:

**الربيع:** إن الطبيعة تتزيا بشتى صور الجمال من الروضيات والزهريات فى فصل الربيع، فصل الحياة والنماء والخصب ونشر العطور وشدو الطيور وتفتح الزهور، والأبيوردى مولع بسحر الطبيعة وجمالها فى هذا الفصل، ومن ثم فقد عنى بزمن الربيع وازدانت به أشعاره، وبدت فيها صورة الربيع مشرقة نابضة بالحياة والرقة والعذوبة، وهو يبين أثره فى الكون والحياة بهذه الصورة البيانية؛ فيقول:

وزُرتَ كما زارَ الربيعُ مطبقًا ∴ نَداهُ فأحيَا كلَّ مُثْرٍ ومُعْدِمِ[3]

والربيع فصل تفتح الورود الجميلة والزهور المتنوعة والعطور الفواحة والرياض المزدانة بكل رائع وجميل، ففيه تتحلى الرياض بالأزاهير والأنوار وترتدى حلل الجمال بكل ما فيها من زخارف جميلة، وهو يصور الروض فى فصل الربيع، بقوله[4]:

والروضُ البَسَهُ الربيعُ وشَائِعاً ∴ عُنِيَ السِّماكُ بوَشْيِهَا والمِرْزَمُ[5]

تَثْنِى رُبَاهُ على الغَمَامِ إذا غَدَا ∴ عافِى النسيمِ بِسِرِّها يتكلمُ[6]

---

(١) ٢/ ٧٧ .

(٢) ٢/ ٧٧ .

(٣) ١/ ٢٤٣. طبق الأرض: ملأها .

(٤) ١/ ١٧٠ ــ ١٧١ .

(٥) الوشائع: القصب الملفوف على الثوب. والمقصود هنا الأزاهير المختلفة الألوان. السماكان: كوكبان نيران. المرزم: نجم فى الشعرى.

(٦) عافى النسيم: لينه .

حيثُ الغصونُ هفَا بها ولَعُ الصَّبَا ∴ وخلا الحمامُ بشَجْوِهِ يترنَّمُ[1]

والصورة تعطينا البعد المكانى والبعد الزمانى وكذا الجمالى؛ فالمكانى يتمثل فى الروض ، والزمانى فى فصل الربيع، وعناصر البعد الجمالى تتمثل فى الأزاهير المتنوعة الألوان وسقوط الأمطار والنسيم والغصون وريح الصبا والحمام الشاجى، وهو يرمى من وراء هذه الصورة إلى وصف المكان والزمان بالطيب، فالربيع يكسو الروض حلته التى تولى هذان الكوكبان زخرفتها ونمنمتها ، وكذا الغصون تتحرك بفعل الريح، والحمام يترنم شاجيا ليثير كوامن الشاعر، وهذا يكشف عن البعد النفسى عند الشاعر الذى يقاسى الوجد ويعانى الحرمان، وهى صورة بديعة تكشف عن إبداع الربيع فى الطبيعة .

وكما كان للربيع أثره الطيب على الرياض فقد كان له نفس الأثر على دار المحبوبة وديارها وربوعها، وكذا على الجبال والوديان حتى يعم الجمال الكون بأسره فى هذا الفصل النابض بالحياة[2] . ومن ذلك قوله يصف مكانا نزل إليه فى زمن الربيع[3]:

وَمُرتَبَعٍ لُذْنَا بأذْيالِ دَوْحِهِ ∴ مِنَ الحَرِّ والبيضاءُ شُبَّتْ لظاتُها[4]
وظلتْ تُناجينَا صَبًا مشرقيةٌ ∴ تزيلُ تَبَاريحَ الجَوَى نسَماتُها
وللطيرِ أسرابٌ تناغَى بألْسُنٍ ∴ على عَذَبِ الأغْصَانِ شتَّى لُغاتُها[5]

فهذه إحدى لوحات الربيع البديعة التى تكشف عن جمال المكان فى زمن الربيع، وعناصرها تتكون من الأشجار الوارفة الظلال، والحر ولظى الشمس، وريح الصبا، والنسيم، وأسراب الطيور التى

(١) هفا بها: استفزها. ولع الصبا: هبوبها وهزتها .
(٢) انظر ــ على سبيل المثال ــ ١/ ٣٢٥ ، ٤١٩، ٤٢٨، ٤٨٧، ٦٣٥، ٢/ ٢١٧، ٢٢٢، ٢٤٥، ٢٤٦ .
(٣) ٢/ ١٠٧ .
(٤) البيضاء: الشمس .
(٥) عذب الأغصان: أطرافها

تعشق أماكن الخصب والحياة الرغدة الناعمة، والأغصان التى تغرد عليها الطيور ، وهؤلاء الأحباب الذين ينعمون بجمال المكان وما فيه حيث أبعد عنهم تباريح الجوى وشدة الوجد ومتعهم باللقاء فى وضح النهار، والشاعر هنا يطبع الطبيعة من حوله بأحاسيسه ومشاعره ويجعلها تبادله المشاعر الجميلة والأحاسيس الرقيقة.

فالربيع فى كل الأحوال فصل الحياة والخصب؛ والأبيوردى لم يتغن فى شعره بفصل من فصول السنة سوى الربيع، وتكاد أشعاره تخلو من ذكر الصيف والخريف، وفصل الشتاء لأنه مرتبط بزمن المحل والجدب والقحط، فلم يذكره ــ فيما أعلم ــ سوى أربع مرات تقريبا[1] كلهن فى مقام المديح لمن وصف بالكرم والعطاء والجود فى زمن الشتاء الذى يقل فيه الخير ومنها قوله:

سَمَاحٌ إذا ألْقَى الشتاءُ جِرانَهُ ∴ وهَبَّتْ لكَ النَّكْباءُ من كُلِّ مَنْأَجِ[2]

فحديث الشاعر عن زمن الربيع وفصل الشتاء يكشف عن بعد جمالى فى الطبيعة كما يكشف عن بعد نفسى عند الشاعر يفرق فيه بين زمن الجمال والعطاء وبين زمن القحط والجفاء، ثم عن بعد اجتماعى يكشف عن هؤلاء الكرام وما يقومون به وما يقدمونه لذوى الحاجات فى أوقات الشدة.

وسوف أعرض ــ فى إيجاز شديد ــ صورة الروض وبعض الزهور والأشجار والنباتات التى تمثل أهم مكونات الطبيعة فى فصل الربيع على الصفحات التالية، من خلال شعر الأبيوردى.

---

(١) انظر: ١/ ٢٦٣، ٣١٠، ٥١٦ .

(٢) ١/ ٥٩٥ . الجران: باطن العنق من البعير وغيره؛ ألقى جرانه: ثبت واستقر. النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين. نأجت الريح: إذا اشتد هبوبها .

**الرياض والزهور والأشجار ... إلخ:**

جمال الطبيعة يسر الناظرين إليها، والرياض بما فيها من مختلف الزهور وألوان النباتات، والحدائق والبساتين بما فيها من أشجار وثمار تقربها العيون، وتستريح لها النفوس، ويشعر الإنسان بجوارها وبين أرجائها بالسعادة وراحة البال.

وهى حين تذكر على الألسنة ؛ فإنما تدل على أن ذاكرها صاحب نفس زكية وذوق رفيع وحس مرهف؛ لأنه ينقل للآخر ما يحس به من جمال الطبيعة وفتنتها وسحرها الحلال.

ومن يعايش ديوان الأبيوردى يجده واحة فسيحة تجمع بين الرياض والزهور والرياحين والأشجار والنخيل وغيرها؛ وكلها ناطقة بالجمال والرقة والعذوبة، ولا تكاد تخلو قصيدة من مظهر جمالى أو صورة من صور تلك الطبيعة النباتية والشجرية الجميلة.

وللرياض صور متنوعة تنوع زهورها فى ديوان الأبيوردى، وكلها جميلة بديعة، فمرة يجمع فى الصورة بين الروض والنهر والزهر والشمس فى وقت الضحى وبين الطيور والنسيم والماء البارد وجمال المكان[1]، ومرة أخرى يصور الروض فى وقت جمع بين الصحو والغيم، وقد تساقط المطر على الزهر، فظهرت حبات المطر عليه كالدر المنظوم فى العقد، وهذا المطر جعل الجو جميلا والنسيم عليلا[2]، ومرة ثالثة يزور الروض وقد لبس لباس الحرب والفروسية، واستعار للروض المباسم والشفاه، وجعل الأزهار ثغورا بيضاء وشفاها لعساء، واحتبس ماء المطر فلم يسقط على الروض[3]، ومرة رابعة يرى المزن يتساقط على الروض فى مكان

(١) انظر : ٢/ ٧٦ ــ ٧٧ .
(٢) انظر: ٢/ ٧٧ .
(٣) ٢/ ٢٥٤ .

"الغميم"[1] ، وقد كثرت أزاهيره[2]، ومرة خامسة يرسم لنا صورة الروض فى "ثهمد" وقد غطى الروض المكان، وظهر فيه الأقحوان كالأسنان اللامعة المفلجة، والشقيق الأحمر كالخد ــ من باب التشبيه المقلوب ــ وانتشر المزن على ورق الريحان كالدرر المنظومة[3]، ومرة يصف ربع المحبوبة بعد عودة الحياة إلى روضه[4]، وعبر عن حسن الروض ونضارته فى قوله[5]:

عَرَضَتْ لنا تَخْتالُ بين كواعبٍ ∴ والروضُ يُذْهِلُ حُورَها عن غِيدِها
إذ شقَّ أرْدِيَةَ الشَّقيقِ به الحَيَا ∴ فحكَيْنَهُ بقلوبِها وخُدُودِها

فالروض ــ فى هذه الصورة ــ بلغ من حسنه ونضارته أنه أذهل الحور عن الغيد حين ظهرت حبيبته بين مجموعة من الغيد الجميلات، وقد شق المطر أردية شقائق النعمان؛ الذى يجمع بين الحمرة فى أطرافه وبين السواد فى وسطه، وشبه بحمرته خد حبيبته وقلبها بسواده، والصورة تكشف عن البعد الجمالى فى الروض والحبيبة؛ فبينهما شبه كبير .

والأبيوردى مع ولوعه بالرياض وجمالها والبساتين وأشجارها، فلم يكتف بذكرها على الجملة، بل خص بعض الأشجار والنباتات بالذكر لما لها من أثر نافع وطيب للإنسان وفى الطبيعة؛ منها النخيل، والدوحة، والبان، والأراك، والغضى، والسدر، والأسل، والخيزران، والنرجس، والأثل، والعنب، وألوان الطيب كالعرار، والحوذان، والمندل، والريحان، وغيرها .

---

(١) الغميم: موضع بالحجاز .
(٢) ١/ ١٨٢ .
(٣) ٢/ ١٤٠ ــ ١٤١ .
(٤) ٢/ ٢٨٤ ــ ٢٨٥ .
(٥) ٢/ ٢٣ .

فالنخلة يذكرها فى مواطن العتاب[1]، وفى مواطن الفخر، كقوله:

فالعُودُ من حطَبٍ لولا روائحُهُ ∴ والنخلُ تُكرَمُ للأثمارِ لا العُسُبِ[2]

والنخلة عنده غرس طيب ، وجناها أطيب، وهى رمز الشموخ، وجديرة بأن تحظى بتكريم الإنسان لها، لما لها من فوائد جمة تعود بالنفع عليه، وقد أكثر من استعمالها فى الصور البيانية التى تؤيد ذلك[3] ومنها قوله يصف الإبل فى أول سيرها وآخره؛ وهى صورة من وحي الطبيعة المشاهدة:

والعيسُ هَافِيةُ الأعناقِ من لَغَبٍ ∴ كالنَّخْلِ كانتْ فعادَتْ كالعَرَاجِينِ[4]

ومن الأشجار: الدوحة ــ وهى الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة من شجر ما – وهو معجب بثبات أصلها وامتداد فروعها فى السماء، وأتى بها فى شعره فى الصور البيانية ، يكنى بها عن الأصالة والنقاء وتحقيق النفع للآخرين[5]، ومنها قوله ــ وقد جمع بين مجموعة من مقابلات الطبيعة ــ فى مقام الفخر بنفسه وبقومه :

وَلِي دوحةٌ فوقَ السَّماواتِ فَرْعُهَا ∴ وتحتَ قَرَارِ الأرضِ من عِرْقِها شُعَبْ[6]

وأتى بها على سبيل الحقيقة فى قوله يصف مكانا بالنضرة والجمال وشدة الحرارة فى زمن الربيع:

ومُرْتَبِعٍ لَذْنَا بأذْيالِ دَوْحِهِ ∴ من العَرِّ والبيضاءُ شُبَّتْ لظاتُها[7]

---

(١) ١/ ٥٥٤ .
(٢) ٢/ ٣٣. العسيب: غصن النخيل.
(٣) انظر ــ على سبيل المثال ــ ١/ ٢٤٩ ، ٢٧٩، ٣٩٩ .
(٤) ١/ ١٣١ .
(٥) انظر: ١/ ٢٥٧ ، ٢٨٢، ٤١٥، ٦٢٦ .
(٦) ٢/ ١٢٦ .
(٧) ٢/ ١٠٧ .

ومن الأشجار: **الأراك** ــ وهو شجر مثمر وله فوائد كثيرة ــ وقد ورد فى شعره كثيرا على سبيل الحقيقة، كما ورد على سبيل المجاز، ومن الحقيقة قوله يصف الظبية؛ وهى تتناول الأراك، وقد هزه النسيم فى وسط الأشجار الكثيرة، ثم انصرف الغزال عن أمه إلى ظل الإراك[1]:

**وَمَا مُغْزِلٌ تَعْطُو الأَرَاكَ يَهُزُّهُ ∴ نَسِيمٌ تَنَاجِيهِ الخَمَائِلُ وَانِ (...)**
**فَمَالَ إِلَى الظِّلِّ الأَرَاكِيِّ دُونَهَا ∴ وَكَانَا بِهِ مِنْ قَبْلُ يَرْتَدِيَانِ**

فالأراك يستظل به، ويؤكل ثماره[2]، وقد يكون ملاذا للطيور[3]، وقد يكون موضع اهتمام الشاعر لأمر وجدانى[4]، ومن استعماله فى الصور البيانية قوله يشبه الركب بغصن الأراك فى الطول وامتداد القامة وحسن الصورة:

**وَرَكْبٍ كَغُصْنَانِ الأَرَاكِ هَدَيْتَهُمْ ∴ وَقَدْ شَغَلَ التَّهْوِيمُ مِنْهُمْ مَآقِيَا[5]**

ومن الأشجار: **البان** ــ وهو شجر سبط القوام، لين ، تشبه به الحسان فى الطول واللين ــ وقد استعمله الأبيوردى على سبيل الحقيقة[6]، وغلب عليه الاستعمال البيانى[7]، ومن الحقيقى قوله يصف البان وقد هزته الريح حين هبت عليه فانثنى واعوج:

**إِذَا سَرَى البَرْقُ مُجْتَازاً لِطِيَّتِهِ ∴ وَهَزَّتِ الرِّيحُ غُصُنَ البَانِ فَانْآدَا[8]**

ومن البيانى تلك الاستعارة التصريحية فى قوله يصف حبيبته:

**فَلِلْبَانَةِ الغَنَّاءِ ظِلٌّ أَلِفْتُهُ ∴ فَلَا يَنْزَوِى عَنِّى وَلَا يَتَقَلَّصُ[9]**

---

(١) ١/ ٣٨٨ .
(٢) ٢/ ٢٠٨، ٢٨٥ .
(٣) ٢/ ٢١٠ .
(٤) ٢/ ٢٠٥، ٢٣١ .
(٥) ١/ ١٠٦ التهويم: تمايل الرأس فى النعاس.
(٦) ١/ ١٥٥، ٣٥٥، ٤٠٣، ٥٠٩، ٢/ ٣١ .
(٧) ١/ ٤٠٧، ٤١٧، ٤٨٠، ٦٦٥، ٢/ ٢٩٥ .
(٨) ١/ ١٩٤ . انآدا: انثنى واعوج .
(٩) ٢/ ٢٠٠ .

ومن الأشجار الغضى ــ وهو شجر من الأثل ، خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفئ، واحدته غضاة ــ وله صور متعددة فى شعر الأبيوردى، فهو يشير إلى صلابته وقوته وأنه لا يقدر على تحريكه إلا الليث، ويقصد بالليث نفسه، فيقول:

**وما هُو إلا الليثُ يَرْتادُ مَطْمَعًا ∴ على غِرَّةٍ أوْلا فمَنْ نَفَضَ الغَضَى؟**[1]

ويذكر وادى الغضى، ويشير إلى مأوى الوحوش البرية، ومن ثم فلا يجرؤ أحد على ارتياده وبخاصة فى الليل، ولكن لشجاعته؛ فإنه يطرقه من أجل محبوبته[2] ، ومع أنه ومهره غريبان فى هذا الوادى فهو مرتبط به لأجل حبيبته التى تقطن بجواره[3]، ومن ثم فهو يشكو البلى الذى أصابه[4]، ويدعو للمكان وساكنيه بالسقيا والحياة[5]، وبخاصة بعد أن تعذر عليه الرجوع إليه[6]، وذئب الغضى له تواجد كبير فى هذا الوادى[7] .

وقد يذكر الأثل فى شعره مبينا قوته وصلابته حيث تشد الخيل عليه، كقوله:

**والجُرْدُ صَافِنَةٌ لِيثَتْ بأَجْرَعِهِ ∴ لهَا علَى الأَثَلاتِ الشُّمِّ أَرْسَانُ**[8]

وحديثه عن الأثل يدور حول لقائه مع حبيبته بجوار هذا الشجر فى مواطن متعددة[9]، حتى الحمائم عندما تنوح فوقه فإنها تثير فيه الشجن وكوامن النفس، فيقول:

**ومَا تَدْرِى الحمَائمُ أىَّ شَيْءٍ ∴ علَى الأَثَلاتِ يُلْهِمُنَا الرَّنِينَا**[10]

---

(١) ١/ ٣٦٨ .
(٢) ١/ ٣٦٨ .
(٣) ١/ ٣٨٧، ٢/ ١٩٥ .
(٤) ٢/ ٢٦٢ .
(٥) ٢/ ٢٩٢ .
(٦) ٢/ ٢٣٣ .
(٧) انظر: ١/ ٣٠٥، ٣٢٨، ٢/ ٢٤٢ .
(٨) ١/ ٥٠٩. ليثت: شدت .
(٩) انظر: ٢/ ١٥٤، ١٩٩، ٢٤٦ .
(١٠) ٢/ ٢٦٨ .

ومن الأشجار السدر -شجر النبق- يستظل به وتؤكل ثماره[1]، وهو يدعو حمامة السدر أن تغرد، ويدعو له بالسقيا، فيقول:

حَمَامَةَ ذاتِ السِّدْرِ بالله غَرِّدِي ∴ يُجَاوِبُكِ صَحْبِي بالنَّقَا سُقِيَ السِّدْرُ[2]

ومنها الآس ــ وهو شجر دائم الخضرة تؤكل ثماره وتجفف ــ وتعجبه حركتِه واهتزازه ، كما فى قوله:

فلما اسْتَطَارَ الفَجْرُ مالَ بِعِطْفِها ∴ وَدَاعِي كما هَزَّ الصَّبا قُضُبَ الآسِ[3]

وقد يقتصر على ذكر الأفنان ــ الأغصان المستقيمة من الشجرة ــ ويعجبه تمايلها[4]، وهديل الحمام فوقها كقوله:

تَنُوحُ وتَبْكِي فوقَ أفْنَانِ أيْكَةٍ ∴ فِدَاهُنَّ من أرْضِ العِراقِ هَدِيلُها[5]

ويجمع بينها وبين شجر النبع ــ وهو شجر يتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ــ كقوله فى المديح:

وَنَمَاهُ أَرْوَعُ عُودُهُ مِنْ نَبْعَةٍ ∴ رَفَّتْ علَى أَعْرَاقِها الأَفْنَانُ[6]

ويكثر من ذكر الورود المتباينة الألوان كشقائق النعمان والنرجس والأقحوان وغيرها فى شعره[7]، ويعجبه رؤية شقائق النعمان المتفتح فى وسط الروض، كما فى قوله:

زُرْنَا الرِّيَاضَ به وقَدْ بَسَطَ الغَطَا ∴ فيها الصَّبَا وشَقِيقُها يَتَبَسَّمُ[8]

وبلغت نظرة هذا الجمال الطبيعى حين يداعب النسيم الأقحوان، فيقول:

وأَنْشَقُ من رُبَا نَجْدٍ نَسِيمًا ∴ يُغَازِلُ فى أَبَاطِحِهِ الأَقَاحِي[9]

---

(١) انظر: ١/ ٣٤٩ .
(٢) ٢/ ٢٥٣ .
(٣) ١/ ٥٥٧ .
(٤) انظر: ١/ ٢٩٤، ٤٦٣ .
(٥) ١/ ٦٣١ .
(٦) ١/ ٤٠٥ .
(٧) انظر: ١/ ١٨٦، ٤٦٤، ٤٨٠، ٥٩٣، ٢/ ٢٣، ١٤١، ٢١٧ .
(٨) ٢/ ١٢٣ .
(٩) ١/ ٥٢٣ .

## أشجار العطور والروائح الطيبة:

بعد الحديث عن الرياض والزهور؛ يطيب لى الحديث عن أشجار الطيب والعطور، فبينها ارتباط وثيق، وقد كثر ورودها فى الديوان، وأشعار الأبيوردى يفوح منها روائح أشجار العطور الذكية فى مواطن كثيرة، وذكر كثيرا منها كالشيح، والعود، والريحان، والعرار، والرند، والمندل وغيرها من الأعواد الطيبة الرائحة التى تنتشر فى أرجاء الطبيعة، وتمثل عنصرا أساسيا من عناصر الطبيعة الجميلة؛ التى تنم عن شخص المتحدث بها أو عنها .

وسوف أعرض بعضا منها :

**الشيح:** ــ نبت سهلى من الفصيلة المركبة، رائحته طيبة قوية، كثير الأنواع،ترعاه الماشية–ورائحته لها وقع شديد فى نفس الشاعر وأثر طيب فى وجدانه ، وقد ذكره فى مواطن كثيرة[1]، منها قوله ــ يصف رائحته حين يهيجها النسيم ومدى تأثيرها الطيب فى نفسه ــ:

**ونَفْحةُ الشّيحِ إذا فاحَ النسيمُ بها ∴ من غُلّةِ أضْمَرَتْها النفسُ تَشْفِينِى[2]**

وشعره ذائع الصيت، وله أثر طيب فى المتلقى، ومن ثم فهو يشبهه بريح الشيح، فيقول:

**ودُونَكَ شِعْرًا إنْ فَضَضْتَ خِتَامَهُ ∴ تَضَوَّعَ رِيحُ الشّيحِ بينَ رُوَاتِهِ[3]**

**العطر:** ــ نباتات ذات رائحة عطرة يستخرج منها زيت العطر ــ وقد استعمله فى الصور البيانية التى تكشف عن أثر عطر حبيبته الطيب فى نفسه، حين يمر بمكان قد سبق لها السير فيه، كقوله:

**ودُسْنَا بِأخْفَافِ المَطِىِّ بها ثَرًى ∴ يَنُمُّ على مَسْرَى الغَوانِى بِهِ العِطْرُ[4]**

---

(١) انظر: ١/ ٤٩٥ .
(٢) ١/ ١٢٦ .
(٣) ١/ ٦٦٣ .
(٤) ١/ ١٥٢ .

والتى يشكو فيها الحلى والعطر؛ لأنهما ينمان عن قرب الحبيبة، ويكشفان سر اللقاء فى الليل، كقوله:

يَنُمّ علينا الحَلْيُ حتى إذا رَمَى ∴ بِهِ بِاتَ واشِى العِطْرِ عنّا يُحَدِّثُ[1]

وهى صورة جميلة حين تلقى حبيبته الحلى، حتى لا ينكشف أمرهما، ولكن العطر الفواح يبدد آمالهما فى الهواء.

**العَرارُ**: ــ نبات طيب الرائحة من رياحين البر ــ وقد ورد كثيرا فى شعر الأبيوردى على سبيل الحقيقة، وهو مغرم بشم العرار ويفضله على غيره من النباتات العطرية، وكذا يفضل الأماكن التى يوجد بها، وبخاصة أماكن اللقاء بحبيبته ــ فى ديارها ــ، وولعه بهذا النبات يكشف عن انسجام الشاعر مع الطبيعة البدوية، ومنها قوله يصور الطبيعة النجدية الجميلة التى تقطنها حبيبته[2]:

تَلَبَّثْ قليلاً يَرْمِ طَرْفى بنَظْرَةٍ ∴ إلى رَبَواتٍ تُنْبِتُ النَّفَلَ الجَعْدَا
فإنك إن أعْرَقْتَ والقلبُ مُنْجِدٌ ∴ نَدِمْتَ ولم تَشْمُمْ عَرارًا ولا رَنْدا

**الحَوْذَان** : ــ نبات طيب الرائحة وزهره بديع وقيل هو النيلوفر ــ وشاعرنا يجمع بينه وبين غيره من النباتات ذات الروائح الطيبة فى بيت واحد[3]، كما فى قوله يصف ضيعته:

ولَيس إذا حَلَّ الربيعُ نِطاقَهُ ∴ يَرِفُّ الحَوْذانُ والنَّفَلُ الجَعْدُ[4]

**المَنْدَلُ**:ــعود طيب الرائحة وهو هندى الأصل ــوقد فاح عطره كثيرا فى الديوان، ومن ذلك قوله ــ يصف بعد حبيبته فى إحدى

---

(١) ١/ ٢٢٦ وانظر: ٢/ ٢٤٢ .
(٢) ٢/ ٢٧٥، وانظر: ١/ ٢٠٩، ٥٨٣، ٦١٨، ٢/ ٢٣١، ٢٤٥، ٢٥٧، ٢٨٩، ٢٩٠ .
(٣) انظر: ١/ ٢٢٢، ٢٤٧، ٤٨٩ .
(٤) ٢/ ١٤٧ .

الليالى؛ وقد تحرق شوقا إليها، وخفف من ذلك تلك النار التى شقت الظلام وبددته،وجاءت بتلك الرائحة الطيبة من قبل الحبيبة [1]:

وَأَهْوِنُ مَا بِى أَنَّ لَيلَةَ مَنْعَجٍ ∴ أَضَاءَتْ لَنَا نَارًا بِعَلْيَاءَ مَا تَخْبُو[2]
يَعُطُّ جَلَابِيبَ الظَّلَامِ التَّهَابُهَا ∴ وَيَنْفَحُ مِنْ تِلْقَائِهَا المَنْدَلُ الرَّطْبُ[3]

وقال يصف جمال الطبيعة فى المكان:

أَقَمْنَا بِحَيْثُ الطَّلُّ ذَابَ سَقِيطُهُ ∴ عَلَى زَهَرٍ بِالنَّدِّ مُضَمَّخِ[4]

**الرَّنْد:** ــ شجر طيب الرائحة ينبت فى سواحل الشام والجبال الساحلية ــ وقد ربط الشاعر بين طيب رائحته وبين محبوبته فى شعره، فرائحة الرند تأتيه من جهة ديار المحبوبة[5]، والنار التى توقدها حبيبته نار طيبة الرائحة لأنها توقدها بالرند[6]، ووصف جمال الطبيعة فى المكان الذى بات فيه، وقد التقى بطيف الحبيبة، فقال:

وَبِتْنَا بِرَوْضٍ يَنْثُرُ الطَّلُّ زَهْرَهُ ∴ عَلَينَا وَيُرْخِى مِنْ ذَوَائِبِهِ الرَّنْدُ[7]

**الريحان:** ــ نبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية ــ وله صورة جميلة فى الطبيعة حين يتساقط عليه المزن، فيكون كالدر المنظوم، وقد صور ذلك بقوله ــ يصف الروض وما فيه:

إِذَا المُزْنُ أَذْرَى دَمْعَهُ فِيهِ خِلْتَهُ ∴ عَلَى طُرُرِ الرَّيْحَانِ دُرًّا مُنَضَّدَا[8]

ويأتى بصورة بيانية، يشبه فيها نسيم الريح الذى يأتى من ديار أهله وعشيرته بالريحان، فيقول وقد استنشق تلك الرائحة الطيبة:

أَسْتَنْشِقُ الرِّيحَ تَسْرِى من دِيارِهِمُ ∴ وَهْنًا كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ رَيْحَانُ[9]

---

(١) ٢/ ٢٣٣ .
(٢) منعج : موضع .
(٣) يعط: يشق .
(٤) ١/ ٤٩٢ .
(٥) ١/ ٣٦٠ .
(٦) ٢/ ٢٦٧ .
(٧) ١/ ٤٢٢ .
(٨) ٢/ ١٤١ .
(٩) ١/ ٥١٢ .

والديوان مفعم بالروائح الطيبة والعطور الذكية التى تفوح فى أرجائه، وتنتشر بين جنباته، منها ما هو ناشئ عن النباتات العطرية، ومنها ما جاء من مصادر أخرى كالمسك وغيره من الروائح التى تطيب بها الطبيعة، وتبعث فى النفس البهجة .

**سادسا: الأحجار الكريمة:**

تمثل الأحجار الكريمة أحد جوانب الطبيعة الصامتة الجميلة، والنفس الإنسانية مجبولة على عشق كل جميل، وشاعرنا عاشق للجمال، ومن ثم فقد زين أشعاره فى مواطن كثيرة بالأحجار الكريمة، ومنها ماأورده على سبيل الحقيقة، ومنهاما جاء به فى صور بيانية وكلها تكشف عن ذوق رفيع ونفس ولوعة بالجمال. وهى جزء من الطبيعة لأنها من خلق الله وحده، دون تدخل لغيره فى وجودها. وسوف أجعل حديثى فيها دون غيرها من الحلى والجواهر النفيسة التى للإنسان دخل فيها، ومن بينها:

**اللؤلؤ ـ الدر ـ الجمان** : ـ هى أحجار كريمة تخرج من البحر المالح ـ وقد ذكر الدر على سبيل الحقيقة فى قوله:

**وَلِلدُّرِّ حُسْنٌ حيثُ عُلِّقَ عِقْدُهُ ∴ ولكنَّهُ فى جِيدِ حسْناءَ أجْمَلُ**[1]

فالدر جميل فى جميع الأحوال، ولكنه فى جيد الحسناء أجمل؛ حيث اجتمع مع جماله جمالها فازداد حسنا.

وغلب على شاعرنا استعمال اللؤلؤ فى الصور البيانية، فمرة يشبه به النجوم[2]، ومرة يشبه به شعره[3]، ومرات يشبه به أسنان محبوبته[4]، ومرة يشبه به حباب الخمر[5]، وأخرى يشبه به حصى

(١) ١/ ٦٠١ .
(٢) انظر: ١/ ١٥٥، ٣٣٢، ٤١٧ .
(٣) انظر: ١/ ١٦٩، ١٩١، ٢٤٥، ٣١٨ .
(٤) انظر: ١/ ٣٠٩، ٣٤١، ٣٤٨ ، ٢/ ١٢٤ .
(٥) ١/ ٢٥٠ .

أرض الأحباب[1]، ومرات يشبه به دموع حبيبته، أو دموع غيرها[2]، ومرة يشبه به كلام حبيبيته فى الرقة والنعومة[3]، وغير ذلك من الصور البيانية،ومنها قوله ـ وقد برح به الشوق إلى حبيبته، فأراه لآلئا فى ثغرها ودمعه وعقديها وشعره، فقد جمع فى بيت واحد أربعة أمور متشابهة ولها وقع شديد على نفسه ـ :

**فَبَرَّحَ بِي شَوقٌ أَرَانِي بِثَغْرِهَا ∴ وَدَمْعِي وعِقْدَيْهَا وَشِعْرِي لَآلِيَا**[4]

والشاعر قد أكثر من الصور البيانية التى جعل اللؤلؤ فيها مشبها به فى أشعاره، وهذا يكشف عن تبحره فى الغوص فى أعماق الطبيعة، ليستخرج منها الجواهر النفيسة التى يزين بها أشعاره، ويجلو بها صوره حتى تحظى بإعجاب المتلقى.

**المرجان:** ـ من الأحجار الكريمة، ويكثر فى البحر الأحمر ـ وجاء به الأبيوردى فى صورة بيانية، فكما شبه أشعاره باللؤلؤ؛ فإنه جعلها تفوق المرجان، فقال:

**فَدُونَكَ مِمَّا يَنْظِمُ الفِكْرُ شُرَّدًا ∴ سَلَبْنَ حَصَى المَرْجَانِ كُلَّ نِظَامِ**[5]

**العقيق:** ـ حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص ، يكون باليمن وسواحل البحر المتوسط ـ وقد مدح شاعرنا مكان العقيق وأشجاره فى حالة وجود حبيبته به، فقال:

**فيا حبَّذَا أَثْلُ العَقِيقِ ومَنْ بِهِ ∴ وإنْ رَحَلَتْ عنه فلا حبَّذَا الأَثْلُ**[6]

**العنبر:** ـ مادة صلبة لا طعم لها ولا ريح إلا إذا سحقت أو أحرقت ـ ولها فى الحالتين رائحة طيبة، وقد أورد شاعرنا العنبر فى مجال التعبير عن طيب الرائحة، وهو يصور حبيبته، ويخبر عنه أنها

---

(١) ١/ ٥٦٩ .
(٢) انظر: ١/ ٣٤٨ ، ٤٢٩، ٤٤٤، ٢/ ١٢٤، ٢٣٩ .
(٣) ٢/ ١٣٧، ٢١٢ .
(٤) ٢/ ٥١ .
(٥) ١/ ٤١١ .
(٦) ٢/ ١٥٤ .

إذا جاءته ليلا ، فإن رائحة المسك والعنبر تنم عليها، وتخبر عنها، وتكشف أمرها، فيقول[1]:

وَإِنْ سَرَتْ نَمَّ بِالمِسْرَى تَبَرُّجُهَا ∴ فَالمِسْكُ فِي أَرَجٍ وَالحَلْيُ فِي زَجَلِ
أَشْكُو إِلَى الحَجَلِ مَا يَأْتِي الوِشَاحُ بِهِ ∴ وَأَلْزَمُ الرِّيحَ ذَنَّبَ العَنْبَرِ الشَّمِلِ

وقال فى وصف غلام أسود:

كَالمِسْكِ فِي لَوْنٍ وَفِي أَرَجٍ ∴ يُمْتَارُ مِنْهُ العَنْبَرُ الشَّمِلُ[2]

وبالإضافة إلى تلك الأحجار الكريمة التى خلقها الله وبثها فى الطبيعة، كى تكون مكونا من مكونات الجمال فيها، فإن الأبيوردى أكثر فى أشعاره من ذكر الذهب والنضار والتبر والجمان واللجين وغيرها من المعادن النفيسة التى تنتسب فى الأصل إلى الطبيعة فى الصور البيانية، ولكنى آثرت أن اقتصر على ذكر الأحجار الكريمة التى هى من خلق الله وحده ولا دخل للإنسان فيها .

## سابعا: الطبيعة الصحراوية:

من الجدير بالذكر أن الشاعر العربى مرتبط بالبيئة الصحراوية ارتباطا وثيقا، فهى تمثل مكونا رئيسا فى حياته وثقافته، ومن ثم فإننا نراها متواجدة بصورة لافتة للنظر فى أشعار الشعراء، وإن اختلفت درجة ظهورها من شاعر إلى آخر . والأبيوردى وثيق الصلة بالصحراء والسير فيها ليلا ونهارا، تصاحبه فيها ناقته أو فرسه، وهو يصرح بذلك فى مواطن كثيرة منها قوله وقد اصطحب ناقته القوية السريعة[3]:

يَا صَاحِبَيَّ دَنَا الرَّحِيلُ فَقَرِّبَا ∴ وَجْنَاءَ تَكْفُلُ بِالغِنَى لِلمُقْتِرِ
وَتَجُرَّ أَثْنَاءَ الزِّمَامِ إِلَى فَتًى ∴ خَضِلِ الأَنَامِلِ كِسْرَوِيِّ المَفْخَرِ[4]

---

(١) ١/ ٢١٩ . العنبر: الشمل: أى تفوح وتنتشر .
(٢) ٢/ ٢٨ .
(٣) ١/ ٣٠٧ .
(٤) الأثناء: حبل تقيد به الدابة .

**فمطالعُ البيداءِ تعْلَمُ أنَّنِي ∴ أَسْرِي وأَعْنُفُ بالمَهَارَى الحُسَّرِ**[1]

والأبيوردى يكثر فى أشعاره من ذكر تلك الطبيعة الجامدة المتمثلة فى الصحراء بمختلف أسمائها؛ كالبادية والفيافى والمفازة.. الخ، والجبال والرمال والكثبان والوديان وغيرها، وسوف أعرض بعض الصور التى تؤكد صلة الشاعر الوثيقة بتلك الطبيعة الصحراوية، ولا يمكن استقصاء كل الصور، لأنها كثيرة؛ فهى تزيد على مائتى مرة.

**البيداء ـ الفيافى ـ الصحراء ـ الفلاة ـ المفازة ..الخ:**

الأبيوردى يورد البيداء ـ بالمفرد والجمع ـ فى شعره كثيرا، فهو يصف نفسه بتحمل مشاق السفر والارتحال من مكان إلى آخر فى الليل أو النهار كقوله:

**وبِيدٍ على بِيدٍ طَوَيْتُ ولَيْلَةٍ ∴ سَرَيْتُ وتحْتَ الرَّحْلِ وَجْنَاءُ عَيْهَمُ**[2]

وهو يقضى الليل كله مسافرا فى البيداء[3] وناقته القوية التى يصطحبها معه تجوب البيداء مسرعة كالخيال[4] وإذا أقام ولم يرتحل فإنها تحن شوقا إلى السير فى البيداء ، وفى حالة فراق الأحباب؛ فإنه يلزم مع رفاقه ظهور الإبل لاجتياب البيد[5]، والذئب لا يضل فى البيداء لمعرفته بشعابها ومسالكها وفجاجها ويهاجم فيها الغزال[6]، وهو يشبه نفسه بذيب البادية لمعرفته بشعابها فهو لا يضل فيها، فيقول:

**ولا خِفْتُ أنْ يَسْتَغْوِيَ البيدُ نَاظِرِي ∴ فَإنِّي إذا ما اغْبَرَّتِ الأرضُ ذِيبُهَا**[7]

---

(١) المهارى جمع مهرية: إبل نجائب تسبق الخيل منسوبة إلى مهرة بن حيدان.

(٢) ١/ ٢٠٢. العيهم من النوق: السريعة .

(٣) ١/ ٩٨ .

(٤) ١/ ٢٧٥، ٣١٥ .

(٥) ١/ ١٣٢ .

(٦) ١/ ٣٨٨ .

(٧) ١/ ٥٠٢ .

ويورد الفيافى بدل البيد لبناء البيت والقافية، فيقول مشيدا بخيله التى تقطعها بسرعة قوية:

إلى المقتدِي بالله والمقتَدَى به ∴ طَوَيْنَ بنَا ـ طيَّ الرِّداء الفَيافِيَا [1]

وإبله تخترق الفيافى فى ظلام الليل[2]، ويعيب صاحبه لعدم صبره على اجتياب الفيافى[3].

ولفظ الصحراء مع شهرته نادر فى شعره[4]، وأكثر من ذكر الفلاة ، ولعل خفة اللفظ لها دخل فى ذلك، وقد أورده مفردا وجمعا، فخيله المقربة تخطو به عرض الفلاة، فيقول:

ومُقْرَباتٍ خطَتْ عرْضَ الفَلاةِ بِنَا ∴ قُبٍّ سَرَاحيبَ أمْثالَ السَّراحينِ [5]

وإبله وفحله وركائبه تطوى الفلا ليلا ونهارا[6]، وهو يصاحب سكان الفلا من أجل حبيبته ويسعد بصحبتهم[7].

والمفازة ـ مع أنها تعطى الأمل فى النجاة والفوز ـ فلم يكثر من ذكرها[8]، ويصف نفسه وقد أصابه النوى وهزلت إبله لطول السير فى المفاوز، فيقول:

قَضَتْ وَطَرًا مِنِّى النَّوَى وتَخَاذَلَتْ ∴ قُوَى العِيسِ وانْضَمَّتْ عَلَيْنَا المَفَاوِزُ [9]

---

(١) ١/ ١١٤ .
(٢) انظر: ١/ ١٧٣، ٥٢٤ .
(٣) ٢/ ٦٩ .
(٤) انظر: ١/ ٤٤٦ ، ٦٠٨ .
(٥) ١/ ١٣٠ . خيل مقربة: إذا أدنيت ضنابها. قب: مرتفعات، سراحيب: طويلة. السراحين: الذئاب .
(٦) انظر: ١/ ١٦٨، ٢١٣ ، ٢٣٥ .
(٧) ٢/ ٢٤٠ .
(٨) انظر: ١/ ٤٥٨ .
(٩) ٢/ ٢٠٨ .

وعبر عن الصحراء بالموامى ، فقال:

لَتُشَارِفَنَّ بِيَ المَوَامِى أَيْنُقٌ ∴ هُنَّ الحَنِيُّ وَرُكْبُهُنَّ الأَسْهُمُ(١)

وعبر عنها بالمهمه والمهامه، ويبدو أن المهمه مصدر إزعاج ورعب للشاعر، فهو يصفه بالمهابة حتى إن الريح تسرع فيه مهابة هلاكها، فيقول مبينا صعوبة الطبيعة البدوية:

ولكَنَّنَا فِى مَهْمَهٍ تُعْجِلُ الخُطَا ∴ على وَجَلٍ هُوجُ الرِّيَاحِ بِهِ نُكْبَا(٢)

وهو يحن شوقا إلى بلده، ولكن كيف الوصول ، وقد بعدت بينهما المسافة، وهو يصور صعوبة ذلك بقوله:

أَشَوْقًا وأَجْوَازُ المَهَامِهِ بَيْنَنَا ∴ يَطِيحُ وجِيفٌ دُونَهَا وَذَمِيلُ(٣)

وهو يؤكد على وحشة المهامه وصعوبة السير فيها، ويصفها بأنها لا موارد فيها لشدة قفرها، فيقول:

وقَالوا يَمَانٍ رَوَّعَتْهُ مَهَامِهٌ ∴ أَبَتْ أن يَرَى فيها المَوَارِدَ ذِيبُ(٤)

**الجبال:** عنى الشعراء منذ قديم الزمان بالجبال؛ فهى تمثل عنصرا رئيسا من عناصر الطبيعة الصامتة؛ إن لم يكن أهمها، وقد أفرد لها بعض الشعراء قصائد كاملة تحكى قصتها فى الطبيعة والحياة كما فعل ابن خفاجة الأندلسى معاصر الأبيوردى، ولكن شاعرنا لم يهتم بوصفها أو الحديث عنها ، واكتفى بذكرها بالاسم أو الصفة أو المكان؛ كما فى قوله يصف ناقته وقد أرخى لها العنان لتسير كيف تشاء:

والأَعْوَجِيَّةُ مُرْخَاةٌ أَعِنَّتُهَا ∴ تَسْتَنُّ فى لَهَوَاتِ السَّهْلِ والجَبَلِ(٥)

---

(١) ١/ ١٧٤ . الموامى: جمع موماة الفلاة الواسعة. الحنى: القسى .

(٢) ١/ ٤٢٧ . تنكبت الريح: مالت .

(٣) ١/ ٥٦٩ . أجوازها: معظمها. الوجيف والذميل: نوعان من السير السريع .

(٤) ٢/ ٢١، وانظر: ١/ ٤٣٤ .

(٥) ١/ ٢٢١ .

وهو ينادى جبل الريان الذى استطاب ماءه[1] دون غيره من الأماكن، ويشير إلى حزن الراسيات لفقد الممدوح[2]، وهى صفة ملازمة للجبال. فحديثه عن الجبال فاتر وباهت لا يتعدى مجرد الذكر وإن أشار إلى ثباته وصعوبة النيل منه فى قوله ــ فى الممدوح وقد شبهه بالطود ــ :

لا يَخْضَعُون لخَطْبٍ إنْ أَلَمَّ بِهِمْ ∴ وهَلْ تهُزُّ الرِّياحُ الهُوجُ أطْوَادَا[3]

الوادى: ــ هو كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام ــ وهو يورده غالبا فى مواطن الذكريات التى لها أثر بالغ فى نفسه لارتباطها بأيام الأنس ولقاء الحبيبة، وهو مكان للاجتماع أو السير أو العمارة أو الخراب[4]. وهو يشير إلى ثراء الوادى وحسنه حين يعم القحط البلاد؛ فيقول مادحا:

ووادٍ مُونِقُ الجَنَباتِ تأوِى ∴ إليهِ إذا تجهمتِ البِلادُ[5]

وصورة الوادى تشرق وتزدهر حين يضم حبيبة الشاعر بين جنباته، ويقضى معها وقتا طيبا، بعيدا عن الوشاة والرقباء ، وقد صور ذلك بقوله[6]:

ونحنُ بوادٍ خيَّمَتْ أمُّ سالمٍ ∴ بهِ ذِي ثَرَى غَضِّ النَّباتِ رَطِيبِهِ
تَضَوَّعَ مِسْكًا حينَ نَاجَاهُ ذَيْلُهَا ∴ كأنَّ مَجَانِيهِ مَذَاكٍ لِطِيبِهِ[7]

الرمل: هو فتات الصخر، ويوجد غالبا فى الصحراء ــ وقد أورده الأبيوردى كثيرا فى شعره، فيذكر الرمل المتراكم والرمل

(١) ١/ ١١٠ .
(٢) ١/ ٤١٥ .
(٣) ١/ ١٩٧ .
(٤) انظر ١/ ١١٧، ١٣٩، ٣٧٧، ٤٢٧، ٦٤٠، ٢/ ٤٥ .
(٥) ١/ ٥٢٢ .
(٦) ٢/ ٢٣٥ .
(٧) مجنى الوادى: منعطفه. ذكا المسك : تضوعت رائحته .

المستوى[1]، وقد يكثر الرمل فى الوادى ويمر فيه الركبان والمشاة[2]، ويدعو لرمل بعض الأماكن بالسقيا ولقاطنيه بالحياة[3]، وقد يكون الرمل مرتعا خصبا للغزال وغيره[4]، وقد تكون كثبان الرمل موضعا لإيقاد النار فوقها كقوله:

لَمَعَتْ كَنَاصِيَةِ الحِصَانِ الأَشْقَرِ ∴ نَارٌ بِمُعْتَلِجِ الكَثِيبِ الأَعْفَرِ[5]

وهو ينقل لنا صورة رملية طبيعية حين يرى الثعبان يزحف فى حواشى الرمل، فيشبه زحفه إلى حبيبته فى الليل وهى خائفة بزحف الثعبان فى حواشى الرمل، فيقول:

وَبِتُّ أُحْبُو إِلَيْهَا وَهْيَ خَائِفَةٌ ∴ كَمَا حَبَا فِى حَوَاشِى الرَّمْلِ ثُعْبَانُ[6]

وقد يلتقط صورة مهاة الرمل، فيشبه بها المرأة الجميلة ذات الخواصر المطوية والروادف المترجرجة، فيقول:

بَدَتْ لَنَا كَمَهَاةِ الرَّمْلِ تَكْنُفُهَا ∴ هِيفُ الخَوَاصِرِ مِن طَيٍّ وَإِدْمَاجِ[7]

وللرمل صور كثيرة أخرى فى شعره، لا تتعدى الحديث عن المكان الذى يكثر فيه الرمل، كما أورد فى شعره صورا كثيرة للأطلال والغبراء والربع والربا والفجاج والبرية والنقا وغيرها من الصور الصحراوية.

ومع كثرة ما ورد من صور الطبيعة الجامدة أو الصامتة المتمثلة فى الصحراء والجبال والرمال وغيرها من صور البادية؛

---

(١) ١/ ١٥٨.
(٢) ١/ ٥٠٩.
(٣) ٢/ ٩٧، ٢٨٩.
(٤) ١/ ٤٢٨.
(٥) ١/ ٣٠١.
(٦) ١/ ٥١٠.
(٧) ١/ ٢٩٤.

فإنها لا تشكل فى ثقافة الشاعر أو مخيلته شيئا ذا بال؛ فلا نجده يقف أمام جبل يشخصه ويستنطقه ويناجيه كما فعل غيره من معاصريه، وكان موقفه منها لا يتعدى التصوير البياتى أو وصف الصحراء بالاتساع المتمثل فى الصور الجزئية كالتشبيه والمجاز وغير ذلك من الصور البيانية التى علقت فى مخيلته وهو يجوبها فى أسفاره وتنقلاته بالنوق والجياد، ولم يلفت نظره، أو يشد انتباهه ما فى هذه الطبيعة من صور كلية تكشف عن شتى أبعادها وصعوبة الحياة فيها. والدليل على ذلك أنه لم يخص شيئا منها بقصيدة أو مقطوعة مع كثرة ذكر مفرداتها وأجزائها فى شعره، ومرد هذا إما إلى البيئة التى عاش فيها الشاعر، أو أنه لم يعشق تلك الطبيعة الجامدة، ولم يكن لها صدى فى نفسه، مع أن شعره يؤكد أنه كان يفاخر فيه بأنه ابن البادية وخبير بمسالكها وشعابها والحياة فيها. والرأى ـ عندى ـ أن السبب الرئيس فى ذلك يرجع إلى خيال الشاعر، الذى وقف به عند الصور الجزئية، ولم يحلق به فى أجواء الصور الكلية لتلك الطبيعة الصحراوية الثرية بالصور الكثيرة والمتنوعة.

# المبحث الثانى
# الطبيعة الحية

## أولا: الحيوانات :

ديوان الأبيوردى حظيرة حيوان فسيحة مترامية الأطراف، تجمع بين الحيوانات الأليفة كالإبل والخيل، وبين الحيوانات المتوحشة كالأسود والذئاب وغيرها، وكذا الحيوانات الصحراوية النافعة والضارة والكبيرة والصغيرة كالمها والغزال والحيات والحشرات وغيرها ــ وقد ورد ذكر الحيوانات بمختلف أنواعها فى الديوان حوالى ستمائة مرة ــ فلا تكاد تمر صفحة إلا وفيها حيوان مستأنس أو متوحش كبير أو صغير، وكان للإبل والخيل بمختلف أسمائها وصفاتها النصيب الأوفى، وهذا يدل على أن للإبل والخيل أهميتها فى تلك البيئة، وعند هؤلاء القاطنين فيها على اختلاف نزعاتهم وأهوائهم .

ومن خلال قراءة الديوان يستطيع القارئ أن يقف على الحيوانات التى تمثل عنصرا مهما من عناصر الطبيعة الحية المتحركة التى لها ارتباط شديد بالبيئات الصحراوية والبدوية والحضرية التى تعلق الشاعر بها وعاش فيها؛ ومن أهمها:

**الإبل:** للإبل أهمية قصوى فى حياة العربى قديما؛ فهى وسيلة تنقله من مكان إلى آخر، وخير رفيق له؛ لما لها من صبر جميل على تحمل مشاق الصحراء والسير فيها ليلا ونهارا فى لهيب القيظ وقارس البرد ، وهم يعيشون على ألبانها ولحومها وينحرونها لأنفسهم وللضيفان فى مختلف المناسبات .

والأبيوردى نوع حديثه عن الإبل ؛ فهو يصف نجابتها وسرعتها وسيرها فى بداياته ونهاياته، ومشاركتها له فى أحاسيسه ومشاعره، ويذكر أنواعها وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالإبل،

وذلك فى صور متنوعة بين الإيجاز والإطناب، مستمدة من الواقع أو الذاكرة أو التراث أو الخيال، فهو ـ مثلا ـ يرسم صورة كلية متكاملة للإبل فى هذه الأبيات التى يقول فيها ـ فى مطلع إحدى قصائده ـ[1]:

أَثِرْهَا وَهْيَ تَنْتَعِلُ الظِّلَالاَ ∴ وَإِنْ نَاجَتْ مَنَاسِمُهَا الكَلاَلاَ[2]
فَلَيْسَ بِمُنْحَنَى العَلَمَيْنِ وِرْدٌ ∴ يُرَوِّي الرَّكْبَ والإِبِلَ النِّهَالاَ[3]
وَهَبْهَا فَارَقَتْهُ فَأَيُّ وَادٍ ∴ تَصَادِفُ فِي مَذَانِبِهِ بِلاَلاَ[4]
كَأَنَّكَ حِينَ تَزْجُرُهَا وَتُرْخِي ∴ أَزِمَّتَهَا تَرُوعُ بِهَا رِئَالاَ[5]
فَكَمْ تُدْمِي أَخِشَّتَهَا بِسَيْرٍ ∴ يُحَكِّمُ فِي غَوَارِبِهَا الرِّحَالاَ[6]
وَتُسْرِي فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ سِرًّا ∴ وَتَخْطِرُ فِي جَوَاشِنِهِ خَيَالاَ[7]
وَتَفْرِي الأَرْضَ أَحْيَانًا يَمِينًا ∴ عَلَى لَغَبٍ وَأَوْنَةً شِمَالاَ[8]
فَتُوطِئُهَا وَإِنْ خَفِيَتْ ـ جِبَالاً ∴ وَتَغْشَاهَا ـ وَقَدْ رَزَحَتْ ـ رِمَالاَ[9]
بِآمَالٍ تُلَقِّحُهُنَّ عُجْبًا ∴ بِهِنَّ وَهُنَّ يَسْرِزْنَ الحِيَالاَ[10]
وَلَوْ خُبِّرَ البَرِيَّةَ مِنْ رَجَاهُمْ ∴ لَشَدَّ عَلَى مَطِيَّتِهِ العِقَالاَ[11]
إِذَا لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْهُمْ نَوَالاً ∴ فَلَمْ يُزْجِ عَلَى ظَلَعٍ جِمَالاَ[12]
طَلاَئِحَ كَالقِسِيِّ فَإِنْ تَرَامَتْ ∴ عَلَى عَجَلٍ بِهِ حَكَّتِ النِّبَالاَ[13]

---

(١) ١/ ١٣٩ ـ ١٤١ .
(٢) انتعل ظله: سار فى الهاجرة. المنسم: طرف خف البعير.
(٣) العلمان بنجد : النهال : العطاش.
(٤) البلال؛ بكسر الباء: الماء، وبفتحها: الندى.
(٥) الرئال: ولد النعام.
(٦) الخشاش مفرد الأخشة: الخشبة فى أنف البعير.
(٧) الجواشن: أول الليل.
(٨) تفرى : تقطع. اللغب: الكلال.
(٩) رزحت الناقة: كلت وتعبت.
(١٠) حالت الناقة: ضربها الفحل ولم تحمل .
(١١) شد العقال: عبارة عن الإقامة. كنى به عن ترك السير إليهم.
(١٢) ظلعت الدابة: عرجت وغمزت فى مشيها، والظلاع: داء يأخذ فى قوائم الدواب متظلع منه. زجا الشىء: ساقه ودفعه برفق.
(١٣) طلحت البعر: هزلت .

فالأبيوردى فى هذه المقدمة الوصفية أعطى صورة متكاملة، تصف حال الإبل فى سيرها فى أثناء الهاجرة حين ينتعل كل شىء ظله؛ وقد أصابها الجهد والعطش، وهو ينتقل بها مسرعا من مكان إلى آخر فى أثناء الليل والنهار، وهى تطوى الأرض طيا، وكثيرا ما يدمى أنفها وظهرها وهى لا تكل عن السير، ثم يختم حديثه عن الإبل بهذا التصوير؛ فهى فى أول سيرها وسرعتها كالسهام وفى آخر سيرها ، وبعد تعبها وهزالها تعوج كالقسى، وهو تصوير رائع للإبل فى الحالين .

والمعجم الشعرى فى الصورة يكشف عن صورة بدوية بكل أبعادها ، فالسير فى الهاجرة ــ تنتعل الظلالا ــ ، وطرف خف البعير ــ المنسم ــ ، ومنحنى الوادى، والركب، والإبل، والعطش، والماء، وزجر الإبل، وإرخاء أزمتها والرئال ــ ولد النعام ــ والخشبة فى أنف البعير ــ أخشتها ــ ، والغوارب والرحال، والسير طوال الليل، وقطع الأرض، والسير على الجبال والرمال، والجهد والمشقة، والفحل من الإبل، والمطية، والعقال، والظلع، والقسى، والنبال وغيرها من المفردات التى تتناسب مع البيئة البدوية التى يعتمد فيها الركبان على الإبل فى الوصول إلى مراميهم لتحقيق أهدافهم، وهى لوحة متكاملة العناصر والأبعاد بما فيها من الظلال والشكل والحركة والرى والظمأ.. الخ تعطينا صورة متكاملة للإبل فى أثناء السير فى وقت الهاجرة، وكذا فى أثناء الليل.

وفى إحدى مدائحه يرسم صورة لناقته الوجناء، فى ثمانية أبيات؛ فيصفها بالقوة والسرعة، وأنها يسرت له الوصول إلى الممدوح؛ وكان جزاؤها الراحة وعدم الضرب المبرح[1]. ويرسم صورة أخرى للنوق حين يصلن به إلى ديار حبيبته وقد أصابهن

(١) ١/ ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

البلى، فإنها تتوقف عن السير كى تشاركه مشاعره نحو الديار وساكنيها، وقد بدت عليها أمارات السعادة لتواجدهن فى هذا المكان، وصرن يتجاوبن ويتأثرن ويحدثن اهتزازا وطربا كأنها تستمع إلى الطرب والغناء، وهذا يكشف عن البعد النفسى لدى الشاعر الذى جعل النوق تشاركه أحاسيسه وعواطفه، وهو يصور ذلك بقوله بعد أن صور المكان وما أحدثه البلى فيه[1]:

وَقَفْتُ مَطَايَاتِهَا فَعَرَفْنَهَا ∴ وَكَفَفْنَ غَرْبَ مَيْعَةٍ وَنَجَاءِ[2]
وَهَزَزْنَ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ كَأَنَّمَا ∴ مُلِئَتْ مَسَامِعُهُنَّ رَجْعَ غِنَاءِ

وقد تحن الإبل إلى أوطانها ويبرح بها الشوق إذا أقام أربابها ولم يرتحلوا[3]، وصورة الناقة السريعة، وحالها فى أول السير وآخره عنى بها الشاعر فى مواطن متفرقة[4]، وفى مطلع إحدى قصائده يرسم صورة طبيعية رائعة، تصور مشهدا للنوق الغرائب التى تختلط بالإبل الأجانب؛ فيدفعن عن الشرب ويضربن، ويصير وصولها إلى الماء أمرا بعيد المنال، وكذلك يمنعن من الطعام مع كثرته فى الروض المعشب، وهو يطلب منها الصبر على العطش والجوع حتى يصل بها إلى مكان آخر يستطيع أن يحقق لها فيه ما تطمح إليه، وذلك فى ثمانية أبيات، منها قوله[5]:

أَتَرْوِى وَقَدْ صَدَحَ الْجُنْدُبُ ∴ غَرَائِبُ أَخْطَأَهَا الْمَشْرَبُ[6]
تَمُدُّ إِلَى الْمَاءِ أَعْنَاقَهَا ∴ وَهُنَّ إِذَا وَرَدَتْ تُضْرَبُ

---

(١) ١/ ١٣٤ .
(٢) الميعة: النشاط. الغرب: الحدة. النجاء: السرعة، والناجية: الناقة السريعة.
(٣) ١/ ٣١٥ .
(٤) انظر: ١/ ١٠٤، ١٣١، ٣٥٢، ٥٤٢ .
(٥) ١/ ٦٠٦ ــ ٦٠٧ .
(٦) الجندب: ذكر الجراد .

وهو خبير بأخبار الإبل حيث نالت منه اهتماما كبيرا، فيذكر بعض الإبل المشهورة فى الجاهلية؛ والتى عرفت بعلو النسب، كما يشير إلى إبل بعض القبائل التى تنسب إليها[1]، ويشير إلى ضعف بصرها بسبب الجهد والمشقة[2]، وهو شديد التعلق بالإبل حيث ذكرها فى ديوانه أكثر من مائتى مرة بأسماء وصفات وأحوال مختلفة، فهى ــ عنده ــ أحد العناصر الرئيسة فى الطبيعة الحية المتحركة. وحديثه عن الإبل يكفى لعمل بحث مستقل عنها يمكن من خلاله التعرف على كل ما يتعلق بالإبل فى شتى النواحى.

**الخيل:** هى ــ عند الأبيوردى ــ لا تقل أهمية عن الإبل، وإن قل ذكرها عنده عن الإبل ــ حيث ذكرها حوالى مائة وستين ونيف ــ وهى فى الطبيعة الحيوانية رمز القوة والسرعة والبطولة والشجاعة وتحقيق النصر والعزة وغير ذلك من القيم الرفيعة، وهو يرسم صورة لمهره حين يشخصه ويخاطبه ؛ ويقول له لا تطمع فى ماء ترده إبل اللئيم؛ فأنت من نسل خيل جياد؛ لا تنزل بتلك النغب، ولا تشرب الماء إلا ممزوجا بدم الأعداء، وآذانها كالأقلام؛ يقول فيها[3]:

مُهْرَ الفَزَارِيِّ غُضَّ الطَّرْفَ عن نُقَبٍ ∴ يُزْوِي بِهَا إِبِلَ العَبْسِيِّ سَاقِيهَا[4]
فَقَدْ نَمَتْكَ جِيَادٌ لا تُلِمُّ بِهَا ∴ حَتَى تَرَى الشُّمْرَ مُحْمَرًّا عَوَالِيهَا
كَأَنَّ آذَانَهَا الأَقْلامُ جَارِيَةً ∴ بِمَا نَبَا السَيْفُ عَنْهُ فِى مَجَارِيهَا

وجياده قوية مدربة على لقاء العدو، ولديها معرفة بأحوال الحروب وما يدور فى ميادين القتال،وهى صابرة لينة،تسهل لفوارسها تحقيق النصر وسبى نساء الأعداء، كما تشاركهم

(١) ١/ ١٧٣، ١٧٤ .
(٢) ١/ ١٨٧ .
(٣) ١/ ٤٧٧ ــ ٤٧٨ .
(٤) أراد بالفزارى نفسه. النغب : جمع نغبة. الجرعة. وأراد بالعبسى: الرقيب .

أحاسيسهم وتعلم ما يريدون[1] ، وهى مع ذلك شديدة الخلق طويلة لا تشتكى ألما ولا تعبا، تسابق الرياح والبرق فتسبقهما، وهى كالنار فى حالة عدوها، وكالماء فى حالة سكونها واستقرارها، إذا عدت على الأرض ظهرت آثار حوافرها، وإن جرت على الصخر كانت أصلب منه وأملس، وهى غبراء كالغول، سريعة كالذئاب، شجاعة كالأسود، قوية جريئة كالصخور، أعناقها جيدة جميلة كأسراب القطا، وقد جمع كل هذه الصفات فى تلك الصورة التى أطلق فيها خياله ليلتقط الصور المتباعدة ويجمع بينها ليؤلف منها هذه الصورة التى يقول فيها[2]:

فَلُثْتُ أَعْرافَ جِيادٍ حَمَلَتْ ∴ صَخْبِى بِأَعْرافِ جِيادٍ لِلْعِدَا[3]
مِن كُلِّ محْبوكِ السَّراةِ شَيْظَمٍ ∴ لا يَتَشَكَّى مَلَحًا ولا وَجَى[4]
تَحْبُو الرِّياحُ الهُوجُ فى أَشْواطِهِ ∴ والبَرْقُ يَكْبُو خَلْفَهُ إذا عَدَا
كالنّارِ إن حرَّكْتَهُ فى حُضْرِهِ ∴ وإنْ تُسَكِّنْهُ فكالْماءِ جَرَى
تَنْتَهِبُ الأَرْضَ بِكُلِّ حافِرٍ ∴ كالقَعْبِ وَهْوَ كالصَّفا على الصَّفا
وهُنَّ شُعْثٌ كالسَّعالِي عُوِّدَتْ ∴ حُسْنَ المَشِى بين العَوالى فى الوَغَى[5]
لهُنَّ إرْخاءُ الذِّئابِ فَوقَها ∴ تحْتَ القَنَا كالغابِ آسادُ الشَّرَى[6]
شُوسٌ كأَمْثالِ الصُّقورِ أَعْنَقَتْ ∴ بِهِمْ مَذاكِيها كأَسْرابِ القَطَا[7]

وقد يخص إناث الخيل بالذكر دون الذكور، وكذا الخيل الخالصة العروبة ذات الصفات الجيدة التى لا تتوفر فى غيرها من الخيل، ولا

(١) انظر: ١ ٤٧٤ ــ ٦٠٠ .
(٢) ١/ ٦٢٣ ــ ٦٢٤ .
(٣) لوث الأعراف: اختلاطها .
(٤) المحبوك: الشديد الخلق. سراة كل شيء: ظهره. الشيظم: الطويل. الملح: ورم عرقوب البعير. الوجى: رقة الحافر من كثرة المشى .
(٥) السعالى: جمع السعلاة : الغول.
(٦) إرخاء الذئاب: عدوها الشديد. الشرى: موضع كثير الأسود. أسد الشرى: أشداء شجعان .
(٧) شوس شوسا: جرؤ وشجع وتكبر . العنق : ضرب من السير سريع. المذاكى: أفراس مسنات .

يمكن الاستغناء عنها لقوتها وسرعتها وتفننها فى العدو[1]، وكما شبهها فى السرعة بالذئاب، فإنه يشبهها كذلك ـ فى السرعة ـ بالكلاب المدربة على الصيد[2]، وللخيل عنده صور متعددة وصفات متنوعة وأسماء كثيرة تدل على معرفة تامة بأحوال هذا الكائن الذى يمثل عنصرا من أهم عناصر الطبيعة الحيوانية فى البيئة العربية .

**الظباء والغزال:** الظباء من الحيوانات ذوات الأظلاف والقرون المجوفة، وهى تمثل جانب الجمال والرقة والوداعة فى الطبيعة الحيوانية فى البوادى، والظبى العربى له شهرته ومنزلته فى الشعر العربى، والأبيوردى مولع بجمال الظباء على اختلاف ألوانها، وقد ورد ذكرها فى الديوان بمختلف أسمائها وصفاتها وأحوالها ما يقرب من عشرين ومائة مرة، وهى تدور بين الحقيقة والمجاز، ويغلب عليها الصور البيانية لكثرة ما يذهب إليه الشعراء من تشبيه المرأة الجميلة بالغزال فى أمور كثيرة، وهى صور تدل على معرفة تامة بأحوال الظباء، وما تتصف به من خوف وحذر ورقة وجمال وغير ذلك من الصفات .

والأبيوردى يرسم لنا صورة رائعة ـ من باب الحقيقة ـ للظبية وصغارها من الغزال فى الوادى، وذلك حين تكون فرحة مبتهجة بصغارها من حولها، وتحاول أن تدربهن على التعامل مع الطبيعة، حتى يعتمدن على أنفسهن فيما بعد، فتتناول شجر الأراك حين يداعب أوراقه وأغصانه النسيم، ويأخذ صغارها يلعبن بجوارها، ثم يبعدن عنها، وهى فى غمرة السرور، وصغارها فى نشوة الفرح، يفجعها الذئب، فيهجم على صغارها، وهى تحاول إنقاذهن فتسرع إليهن، وقلبها يخفق من شدة الخوف، ولكن دون جدوى، فيذهب

(١) انظر: ١/ ٥٦٣ .
(٢) ١/ ٢٦٨ .

عقلها، ويسوء حالها، وتجلس على الرمل حزينة كئيبة بسبب هلاك صغارها فى الوادى، وهو يصور ذلك الحدث بهذه الأبيات التى يقول فيها[1]:

وما مُغْزِلٌ تَعْطُو الأَرَاكَ يَهُزُّهُ ∴ نَسِيمٌ تَنَاجِيهِ الخَمَائِلُ وَانِ[2]
وتَرْجِي بِرَوْقَيْهَا أَغَنَّ كَأَنَّهُ ∴ مِنَ الضَّعْفِ يَطْوِي الأَرْضَ بِالرَّسَفَانِ[3]
فَمَالَ إِلَى الظِّلِّ الأَرَاكِيِّ دُونَهَا ∴ وَكَانَا بِهِ مِن قَبْلُ يَرْتَدِيَانِ
وَصُبَّتْ عَلَيهِ الطَّلْسُ وَهْيَ سَوَاغِبٌ ∴ تَجُوبُ إِلَيهِ البِيدَ بِالنَّسَلاَنِ[4]
فَعَادَتْ إِلَيهِ أُمُّهُ وَفُؤَادُهَا ∴ هَفَا كَجَنَاحِ الصَّقْرِ فِي الخَفَقَانِ
وَظَلَّتْ عَلَى الجُرْعَاءِ وَلْهَى كَئِيبَةً ∴ وَقَدْ سَالَ وَادِيهَا بِأَحْمَرَ قَانِ
تَسُوفُ الثَّرَى طَوْرًا وَتَعْبُثُ تَارَةً ∴ بِهَا أُولَقٌ مِن شِدَّةِ الوَلَهَانِ[5]

تلك صورة من صور الطبيعة التى تكون على أرض الواقع، وقد أجاد الشاعر فى صياغتها وجمع أبعادها والتأليف بين عناصرها التى جمعت بين الرحمة والقسوة، واللين والعنف، والفرح والحزن، والأمان والخوف، والقوة والضعف، مع ما جمعته من صور الطبيعة الرقيقة، كالأراك والخمائل والنسيم، والظل، والرمل، بجانب الحركة واللون، حتى جاءت فى هذا القالب الشعرى الذى يحدث أبلغ الأثر فى نفس المتلقى، وكأنه يشاهد الصورة الواقعية أو الحدث عند وقوعه.

والصور البيانية التى كان الظبى عنصرا أساسيا فيها كثيرة، وهى تكشف عن جوانب متعددة فى هذا المخلوق الجميل الوديع، فمرة يشبه به العربيات الحسان فى الحسن والجمال كقوله:

---

(١) ١/ ٣٨٨ ــ ٣٨٩ .
(٢) مغزل: ظبية ذات غزال. وان: ضعيف .
(٣) الروق: القرن. الأغن: صفة للخشف ــ ولد الظبية أول ما يولد ــ الرسفان: مشى المقيد .
(٤) الطلس: الذئاب المغبرة. النسلان: العدو .
(٥) تسوف : تشم. الأولق: الجنون. الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد .

مِنَ العَرَبِيَّاتِ الحِسَانِ كأنَّها ∴ ظِبَاءٌ تُنَاغِيهَا بِوَجْرَةَ أَطْفَالُ[1]

ومرات يشبه قد محبوبته بجيد الغزال فى الليونة والاستقامة والنعومة[2]، ومرات يشبه الحور فى عينيى حبيبته بالحور فى عيون الظباء[3]، والظباء مع جمالها ووداعتها فهى مستهدفة من الصياد تارة، ومن وحوش البرية تارة أخرى، مما جعلها شديدة الحذر، والخوف يسيطر عليها، والترويع يتملكها، والأبيوردى على يقين من ذلك، ومن ثم فهو يصور خوفها وحذرها فى مواطن كثيرة[4]، منها قوله يشبه كريمة الحى بالغزالة فى حذرها:

أَلِفَتْ ظِبَاءَ الوَادِيَيْنِ فمِنْدَها ∴ حَذَرُ الغَزَالَةِ والْتِفَاتُ الجُؤْذُرِ[5]

## البقر الوحشى "الجؤذر ـ المهاة" :

من الحيوانات الوحشية التى اشتهرت بجمال العيون، وتردد اسمها كثيرًا فى الشعر العربى، وهى تمثل أحد عناصر الطبيعة الحيوانية فى البوادى، وقد أكثر الأبيوردى من ذكرها فى الصور البيانية التى هى أحد مكوناتها الرئيسة، فهو يشبه بعيونها عيون الجميلات فى مواطن متعددة[6]، منها قوله يصف سعة العينين فى حبيبته وفى الجؤذر، وصورة الانكسار فى الجفنين والإطباق فى العينين، وهى صورة جميلة ـ :

وتَكْسِرُ جَفْنَيْهَا على نَجَلٍ بِهَا ∴ كَمَا أَطْبَقَ العَيْنَ الكَحِيلَةَ جُؤْذَرُ[7]

والخوف والحذر من الصفات الملازمة للبقر الوحشى، شأنه فى ذلك شأن الظباء، وشاعرنا يصور لنا خوف الجآذر وحذرها من

(١) ١/ ١١٨ .
(٢) انظر: ١/ ١٥٥، ٢١٨، ٢٨٧ .
(٣) ١/ ٣٤١، ٣٦٧، ٦٥١ .
(٤) ١/ ١١١، ٢٤٧، ٥١٥، ٥٥٦، ٢/ ١٠٩ .
(٥) ١/ ٣٠٣ .
(٦) انظر: ١/ ٢١٩، ٢٤٠، ٣٤١، ٤٢١، ٤٤٦، ٥٠٦، ٦٢٣ .
(٧) ١/ ٥٨٢ . النجل: سعة العين .

الصياد والوحوش فى مواطن كثيرة[1]؛ يغلب عليها التصوير البيانى حين يشبه خوف حبيبته من الرقباء ــ فيلتقط لها صورة المها ــ كما فى قوله:

تَرْمِي حَوَالَيْكِ بِأَحْدَاقِ المَهَا ∴ إِذَا ارْتَقَبْنَ غِرَّةَ الحَبَائِلِ[2]

والصورة اليتيمة للبقر الوحشى عند الأبيوردى التى جاءت على سبيل الحقيقة ــ هى ــ فى مقطوعة وصف فيها "الفهد" ــ ذلك الوحش المفترس ــ وذلك بعد أن ذكر أن الفهد افترس الظباء فى صدرها، ذكر أن البقر الوحشى نجا منه، وكان فيه شبه من الحبيبة، فلما نجت منه ــ المها ــ خلعت عليه عيونها فرحا بالنجاة، فهذه النقط التى رقم بها جلده؛ هى عيون تلك المها التى فل غربه عنها، وهو معنى جميل لم يسبق إليه، وفيه براعة التصوير، يقول فيها[3]:

وَفَلَلْتُ عَنْ بَقَرِ الصَّرِيمَةِ غَرْبَهُ ∴ وَالرَّعْبُ أَقْمَأَ بِاللَّوَى أَشْبَاهَهَا[4]

فَكَأَنَّهَا خَلَعَتْ عَلَيْهِ إِذْ نَجَتْ ∴ مِنْهُ نَوَاظِرَ لَا تَكُفُّ طِمَاحَهَا[5]

وَتَحَوَّلَتْ نُقَطًا بِضَاحِي جِلْدِهِ ∴ حَتَّى وَقَتْ بِعُيُونِهَا أَرْوَاحَهَا[6]

**الوعل:** ــ تيس الجبل، معروف بقوة قرونه وحدتها ــ ويصعد دائما قمة الجبل، والأبيوردى سجل له هذا المشهد الطبيعى؛ حين صور ممدوحه بالشموخ والعزة التى تفوق الجبال الشوامخ التى يصعد فيها الوعل، فقال:

وَعِزَّةٌ دُونَ أَدْنَاهَا مُمَنَّعَةٌ ∴ مِمَّا يُنَاجِي عَلَيْهِ الفَرْقَدَ الوَعِلُ[7]

---

(١) انظر: ١/ ١٨٣، ٣٠٣ .

(٢) ١/ ٤٩٥ .

(٣) ٢/ ١٠٤ .

(٤) الصريمة: القطعة المنعزلة من معظم الرمل، فل غربة: كناية عن عدم صيده. وفل السيف: ثلمه وكسر حده. والغرب: أول كل شىء وحده. أقمأته: صغرته وذللته .

(٥) طمع بصره إليه: نظر .

(٦) ضاحى جلده: ظاهره .

(٧) ١/ ٢٨٨ .

وقال فى ممدوح آخر ــ يبين أن الأقوياء من الرجال فروا منه وتحصنوا بقلل الجبال ــ :

وانْصَاعَ بأْسُكَ بابْنِ الغَابِ تُجْشِمُهُ ∴ أنْ يَسْتَجِيرَ حِذَارًا بابْنَةِ الوَعِلِ[1]

**الغنم:** من عناصر الطبيعة الحيوانية، ولها واقع فى حياة العربى، والأبيوردى لم يعن بالغنم كعنصر من أفراد الطبيعة ، ولكنه التقط أهم صفات الغنم ليوضح بها ملامح الصور البيانية التى كانت الأغنام أحد أركانها، وأهمها حالة الاستقرار وشيوع العدل والأمن فى البلد، حتى تأمن الغنم غدر الذئاب ، والظباء بطش الأسود، كما فى قوله مادحا:

فظَلَّ يمُرُّ السَّخْلُ بالذِّئْبِ آمِنًا ∴ ولا تَرْهَبُ الأُسْدَ الظِّبَاءُ الكَوَانِسُ[2]

ويصور ممدوحه بالقوة، ويكنى عنه بالأسد، وعن أعدائه بأنهم من صغار الغنم. كما فى قوله:

وعَزُّوا حِينَ غِبْتَ فهُمْ أُسُودٌ ∴ وذَلُّوا إذْ حَضَرْتَ فَهُمْ نِقَادُ[3]

**الأسد:** أحد العناصر الرئيسة فى عالم الحيوانات البرية المتوحشة؛ إن لم يكن أهمها، وله دوره البارز فى الطبيعة الحيوانية، فهو ملك الغابة، وأشهر الوحوش جرأة، وبه يضرب المثل فى الشجاعة والجرأة والإقدام والحياء، وقد أكثر الشعراء من ذكره فى التصوير البيانى الذى يريدون فيه وصف الممدوح بالشجاعة والقوة.. إلخ . والأبيوردى ذكره فى شعره بمختلف أسمائه وصفاته حوالى مائة مرة، وكلها فى الصور البيانية، ولم يرسم للأسد صورة متكاملة فى موضع واحد كما فعل مع بعض الحيوانات المستأنسة والمتوحشة. واكتفى بتشبيه ممدوحيه بالأسود ، فهم حماة الأرض كقوله:

---

(١) ١/ ٢٢٢. ابن الغاب: الأسد. تجشمه: تكلفه .

(٢) ١/ ٥٧٦ السخل: ولد الضأن والماعز ساعة يولد وانظر: ١/٥٢٦

(٣) ١/ ٥١٧. النقاد: جمع نقد وهى صغار الغنم، وانظر: ١/ ٣٢٢ .

وما الأَرْضُ إلا الغابُ أنتُمْ أُسودُهُ ∴ وهل يُسْتَباحُ الغابُ يَحْمِيهِ رِئْبَالُ؟[1]

والأبيوردى عالم بأحوال الأسد، وأن أهم ما يتميز به بعد الجرأة والشجاعة الحياء، ومن ثم فهو يصف ممدوحه بأنه ليث حياء، لأن الأسد يوصف بالحياء، فهو لا يأكل من الصيد حتى يموت، كأنه يستحى منه، وقيل: لا يأكل صيد غيره حيا، وأن من واجهه وأَحَدَّ النظر فى وجهه استحيا منه أن يفترسه فقال فى ممدوحه:

فغدا الرَّعِيَّةُ لا نِذِينَ بِظِلِّهِ ∴ يُرْجُونَ غَيْثَ حَيًا وَلَيْثَ حَيَاءِ[2]

وكما شبه ممدوحه بالأسد فى الجرأة والشجاعة؛ فقد شبه نفسه به[3]، وأشار إلى زئير الأسد فى تشبيه صوت الممدوح بزئير الأسد[4]، ومع شجاعته وجرأته كالأسد فإنه ينهزم أمام الجميلات[5]، ويصور الأبطال بالأسود والأراذل بالكلاب، فيقول ــ مبينا عجز الإنسان أمام تصاريف القدر ــ :

فتَنْجَحُ فى مَطَالِبِها كِلَابٌ ∴ وأُسْدُ الغَابِ ضَارِيَةٌ تَخِيبُ[6]

**الذئب:** من الحيوانات البرية المفترسة التى اشتهرت بالغدر والخيانة، وله شأنه عند شعراء العربية، والأبيوردى ذكره فى شعره أربعين مرة تقريبا، وذلك بمختلف أسمائه ــ الذئب ، السرحان، ذؤالة، السيد .. الخ ــ وصفاته، وغلب عنده التصوير البيانى للذئب على الحقيقى، فهو لم يفرد له قصيدة أو مقطوعة أو مجموعة أبيات يتناوله فيها بالوصف والبيان، وقد ذكره بأخص صفاته، وهى الغدر[7] والخيانة وسوء الخلق كما فى قوله فى المديح:

---

(١) ١/ ١٢٠. الرئبال: الأسد الغليظ العنق .
(٢) ١/ ١٣٦ .
(٣) ١/ ٥٤٧ .
(٤) ١/ ١٦١ .
(٥) انظر ١/ ٣٤١، ٢/ ٢٧٠، ٢٨٨ .
(٦) ٢/ ١٥١ .
(٧) انظر ١/ ١١٠، ٢٦٤، ٥٤٧، ٢/ ١٣ .

مَنِيعُ الحِمَى لا يَخْتِلُ الذِّئْبُ سَرْحَهُ ∴ ومِنْ شِيمِ السِّرْحانِ خَتْلٌ وعُدْوَانُ[1]

والذئب مشهور بالسرعة ومن ثم فهو يشبه خيله بالذئاب فى السرعة[2]، ومن صفاته الخلقية صغر العجز وقصر الذنب، وقد ذكر ذلك الأبيوردى فى شعره[3]، وهو يرى صورة تتابع إدخال الذئب لسانه فى الماء، وهى صورة طبيعية فيلتقطها ليشبه بها تتابع الغارات على العدو ؛ فيقول:

شَنُّوا على الأعْدَاءِ غَارَاتِهِمُ ∴ تَتْرَى كَوَلْغِ الأذْؤُبِ العَوَاسِلِ[4]

والذئاب من طبيعتها أنها تبحث عن طعامها ، فتتبع المقاتلين لتشبع مع النسور من جثث القتلى، وقد صور ذلك بقوله:

أيَا خَيْرَ مَنْ يَتْلُوهُ فى غَزَوَاتِهِ ∴ على ثِقَةٍ بالشَّبْعِ نَسْرٌ وسِرْحَانُ[5]

وللذئب صور كثيرة فى الديوان تنبئ عن معرفة الشاعر بأهم ما يتميز به هذا الحيوان الغادر من الصفات والأحوال.

**النمر**: من أشرس الحيوانات البرية، وقد ورد ذكره مرتين فى الصور البيانية منها قوله يشبه الثريا بجلد النمر من حيث النقط:

ولاَحَ كَجِلْدَةِ النَّمِرِ الثُّرَيَّا ∴ بِلَيْلٍ مِثْلِ نَاطِرَةِ الغَزَالِ[6]

**الثعلب**: حيوان يضرب به المثل فى المكر والاحتيال من قديم الزمان، وقد ذكره الأبيوردى مرة واحدة تقريبا فى إحدى الصور البيانية، ويقصد به حال الضعيف حين يقوى ويشتد، وذلك إذا عز الذليل، وهان القوى العزيز، وذلك فى قوله ــ يصف حاله مع من حوله ــ :

رُوَيْدَكِ يَا نَاقُ كَمْ تَذْكُرِينَ ∴ مُنَاخًا بِهِ اسْتَأْسَدَ الثَّعْلَبُ[7]

---

(١) ١/ ٢٥٦ .
(٢) ١/ ٥٢٩ ، ٢/ ٤٨ .
(٣) ١/ ٤٠٠ .
(٤) ١/ ٤٩٨ . عسل الذئب: إذا أعنق وأسرع .
(٥) ١/ ٢٥٧ . وانظر: ١/ ٢٠٥ .
(٦) ٢/ ٧٩ . وانظر: ١/ ٦١٣ .
(٧) ١/ ٦٠٧ .

**الضبع:** جنس من السباع كبير الرأس قوى الفكين، وقد جمع الأبيوردي بينه وبين الذئب فى قوله ــ بصيغة الجمع ــ:

وَلَوْ شَاءَ غَادَرَ أَشْلاءَهُ ∴ يُحَيِّي الضِّبَاعَ بِهَا الأَذْؤُبُ[1]

**الفهد:** ــ سبع من الفصيلة السنورية، أكبر من الكلب وأصغر من النمر، شديد الغضب، يضرب به المثل فى كثرة النوم والاستغراق فيه ــ والأبيوردى رسم له صورة فريدة فى الديوان لم يحظ حيوان مفترس غيره بمثلها عنده، وذلك فى مقطوعة من خمسة أبيات، تحت عنوان: "قال يصف الفهد"، وهذه الصورة من صور الطبيعة الحيوانية فى البرية، وضح فيها افتراس الفهد للظباء، وتمكنه منها مهما حاولت الإفلات منه، وتمكن البقر الوحشى من الهرب منه، والتقط صورة عيون المها التى نجت منه ليجعلها تلك النقط التى رقم بها جلده، قال فيها[2]:

وَمَقِيلِ عُفْرٍ زُرْتُهُ وَيَدُ الرَّدَى ∴ بَسَطَتْ أَنَامِلَهَا لِكَيْ تَجْتَاحَهَا[3]
وَلَدَيَّ مَرْقُومُ القَمِيصِ قَدِ احْتَمَتْ ∴ مِنْهُ بِأَكْثَبَةِ الحِمَى فَأَبَاحَهَا[4]
وَفَلَتْ عن بقرِ الصَّرِيمةِ غِرْبَهُ ∴ والرَّعْبُ أَقْمَأَ بِالقُرَى أَشْبَاحَهَا
فَكَأَنَّهَا خُلِعَتْ عليه إِذْ نَجَتْ ∴ مِنْهُ نَوَاظِرَ لا تَكُفُّ طِمَاحَهَا
وَتَحَوَّلَتْ نُقَطاً بِضَاحِي جِلْدِهِ ∴ حتى وَقَتْ بِعُيُونِهَا أَرْوَاحَهَا

**الكلب:** ــ حيوان أهلى أليف يربى لأغراض متنوعة ــ وقد ذكر فى ديوان الأبيوردى عشر مرات تقريبا، وهو لم يخصه بمجموعة أبيات تبين اهتمامه به، بل جاء ذكره موافقا للبيئة العربية من خلال الصور البيانية التى ذكر فيها، فهو سريع، أليف، وفيّ ، يتعرف على صاحبه، لا ينبح عند الكريم فيوصف بالجبن، نابح عند البخيل وغيرها من الصفات التى أطلقها العرب على الكلب. فمن الصور البيانية قوله يشبه الخيل المسرعة عند دخولها المعركة بالضراء:

---

(١) ١/ ٦١٠ .
(٢) ٢/ ١٠٤ .
(٣) عفر: جمع أعفر وهو الظبى .
(٤) مرقوم القميص: الفهد .

والخيْـلُ عابِسَـةُ الوُجُـوهِ كأنَّهـا ∴ تَحْـتَ الكُمَـاةِ إذَا انْجَـرَدْنَ ضِـرَاءُ[1]

ورفاقه إذا خاضوا غمار المعركة، ولبسوا رداء الحـرب فلـم يتعرف عليهم كلبهم، ويقول فى ذلك:

بِأيْـدٍ إذَا مـا أنْكَـرَ الكَلْـبُ أهْلَـهُ ∴ عَرَفْـتُ لهـا طَعْنًـا يُشَـظِّى رِمَاحَهَـا[2]

ومن عادات الكلب كثرة النباح، فإذا ما اشتد عليه البرد كـف عن النباح، وهو يعبر عن هذه الصورة بقوله:

وألْجِفُـهُ الـبَرْدَ فـى شَـتْوَةٍ ∴ تَغُـضُّ الهَرِيـرَ لهَـا الأكْلُـبُ[3]

وهو كريم والدليل على ذلك أن كلبه يألف الضيفان، وأبوعمرو بخيل ومن ثم فكلبه لا يألفهم؛فالكلب تابع لصاحبه فى الحالين، فيقول عن نفسه:

لَئِنْ سَفِهَتْ قِـدْرِى عَلَيْـكَ بِغَلْيِهَـا ∴ فَكَلْبِـى غَضِـيضُ النَّـاظِرَيْنِ حَلِـيمُ[4]

وعن أبى عمرو:

طَرَقْتُ أبـا عَمْـرٍو فَـرَاعَ مَطِيَّتِـى ∴ بِوَادِيـهِ كَلْـبٌ يُنْكِـرُ الضَّـيْفَ نَـابِحُ[5]

**العمار:** منه الأهلى ومنه الوحشى، وهو من الحيوانات النادرة فى ديوان الأبيوردى، وذكره بما عرف عنه فى صورتين بيـانيتين، إحداهما هذه الصورة التشبيهية التى يقول فيها:

أرُوعُ لَمْ يَشْـرَعْ صَـرَى مَنْهَـلٍ ∴ تَغَمُّـرَ العَـيْرِ بِضَحْضَـاحِ[6]

والثانية هذه الصورة الكنائية التى يتهم فيهـا قومـا بالجهـل والحماقة حتى إنهم لا يميزون بين الجيد والردئ، يقول فيها:

---

(١) ١/ ٢٦٨. الضراء: جمع ضرو، وهـو الكلـب المـدرب علـى الصيد.

(٢) ٢/ ٨٩ . تشظى الشئ: تطاير .

(٣) ١/ ٦٠٩ .

(٤) ٢/ ٤٩ . سفه: خف وطاش.

(٥) ٢/ ١٢٠ .

(٦) ٢/ ١٨٩ . الأروع: السيد المهيب. الصرى: الماء إذا طال مكثـه وتغير. التغمر: الشرب دون الرى . الضحضاح: الماء القليل.

وكَمْ خَلَّفَتْ أَنْضَاؤُهَا مِن مَعَاشِرٍ ∴ تَسَاوَى صَهِيلٌ عِنْدَهُمْ ونَهِيقُ[1]

**ثانيا: الزواحف:**

ـ طائفة من الفقاريات الباردات الدم تتنفس الهواء ـ وهى كثيرة وبخاصة فى الصحراء؛ مثل الأفاعى والثعابين والعقارب والضب وغيرها، وذكر الأبيوردى كثيرا منها، نذكر منها:

**الأفاعى:** للأفعى أسماء كثيرة وصفات متعددة فى شعر الأبيوردى ، وهى تطل برأسها من حين لآخر لتؤكد معرفة شاعرنا بكل أحوالها، وقد اقتصر فى ذكرها على التصوير البيانى الذى يكشف عن حركتها وتلويها ولونها وسمها وغير ذلك من الصور التى لها أثر عظيم فى خيال الشاعر، فهو يشبه نفسه وقد تلوى فى الترب فتبقعت ثيابه؛ فصارت فيها رقش بالحية الرقشاء، فيقول:

ونَزَلْتُ أَفْتَرِشُ الثَّرَى مُتَلَوِّيًا ∴ فيهِ تَلَوِّى حَيَّةٍ رَقْشَاءِ[2]

كما يشبه حركة الرجال فوق الرحال فى آخر الليل بالأفاعى[3]، ويشبه ذوائب المرأة بالحيات[4]، كما يشبه حركة الرمح واهتزازه، وسرعة البرق بالحية[5]، ويشبه الفتى المغوار بالصل ـ الحية التى لا تنفع معها الرقية ـ فيقول:

يُجَرِّرُ أَذْيَالَ الدُّرُوعِ كَأَنَّهُ ∴ غَدَاةَ الوَغَى صِلٌّ تُوَارِيهِ غُدْرَانُ[6]

ويجمع بين النحل والأفاعى ليشبه بهما الممدوح، فهو يعطى الأرى كالنحل لأحبابه ، والسم كالأفاعى لأعدائه، فيقول:

وَيُنْحَلُ مِنْ نَحْلٍ وأَفْعَى مَشَابِهًا ∴ فَيُحْيِي ويُرْدِى أَرْيُهُ وَسَمَامُهُ[7]

---

(١) ١/ ٦٢٠ . النضو: المهزول من الحيوان .
(٢) ١/ ١٣٥ .
(٣) ١/ ١٠٦ .
(٤) ١/ ١٨٣ .
(٥) انظر: ١/ ٢١٧، ٤٨٤ ، ٢/ ٥٨ .
(٦) ١/ ٢٥٥ .
(٧) ١/ ٥٢٨ .

كما يجمع بين الأراقم والعقارب ــ فى بيت واحد فيه من البديع والموسيقى ألوان بديعة ــ حتى يقضي على عدوه، فيقول:

فَبَكِّرْ عليْهِ بِالأَراقِمِ لُسَّعا ∴ وأَسْرِ إليهِ بالعَقَارِبِ لُدَّغا[1]

**الثعبان:** وصورته عند الأبيوردى لا تختلف عن الحية، وذكره مرتين، شبه البرق فى تلويه وحركة ظهره بالثعبان فقال:

سَرَى والدُّجَى مُرْخَى عليْنَا رِوَاقُهَا ∴ يُلَوِّى المَطَا وَهْنَا كَمَا مَارَ ثُعْبَانُ[2]

وشبه نفسه وقد حبا إلى حبيبته وهى خائفة ؛ بالثعبان يحبو فى حواشى الرمل، وقد سبق ذكرها .

**العقرب:** لا تختلف صورته ــ عنده ــ عن صورة الثعبان، وجاء به فى مواطن الإيذاء والعداوة والمكايد، كقوله:

وتَغْدُو إلى سَرْحِي أَراقِمُ وَائِلٍ ∴ وقَدْ كَانَ تَسْرِى فى رُبَاهُمْ عَقَارِبِى[3]

وقوله:

تُنَادِي أَمِيرَ المُؤمنين وَدُونَهُ ∴ أَعَادٍ يُزِجُّونَ العَقَارِبَ لُسَّعا[4]

**الضب:** ــ حيوان من جنس الزواحف غليظ الجسم خشنه، وله ذنب عريض خشن ملتو، يكثر فى الصحارى العربية جمع بينه وبين **اليربوع** ــ حيوان صغير على هيئة الجرذ الصغير وله ذنب طويل ــ فى هذه الصورة البيانية ، التى يقول فيها:

فما العَيْشُ إلا الضَّبُّ يَحْرِشُهُ القَتَى ∴ وَوِرْدٌ بِمُسْتَنِّ اليَرَابِيعِ أَكْدَرُ[5]

وذكر الأبيوردى بعض الحشرات والدويبات: كالجراد[6] والنمل[7] والحرباء وغيرها؛ حتى يكون الديوان جامعا لكل صور

---

(١) ١/ ٣٢٢ .
(٢) ١/ ٢٤٦ .
(٣) ١/ ٢٧٤ .
(٤) ١/ ٣٣٧ . يقال فلان يزجى العقارب لفلان: أى يعاديه سرا .
(٥) ١/ ٥٨٣ . يحرشه: يصيده.
(٦) انظر: ١/ ٦٠٦ .
(٧) انظر: ١/ ٦١٣ .

الطبيعة الحية والمتحركة؛ التى يراها ويألفها العربى فى البادية والحضر، فيذكر صغار الجراد ــ الدبى ــ فى تلك الصورة التشبيهية التى توضح جمال الدروع وقوتها، فيقول:

مُشْتَبِكَاتٌ حَلَقًا كأنَّهَا ∴ مَسْرُودَةٌ بِأَعْيُنٍ مِنَ الدَّبَى[1]

ويشبه حد السيف بمدب النمال فى الدقة؛ فيقول:

وكُلِّ رَمِيضِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ ∴ كَأَنَّ بِفَرْيَيْهِ مَدَبَّ نِمَالِ[2]

والحرباء دويبة تستقبل الشمس نهارها، وتدور معها كيف دارت، وتتلون ألوانا مختلفة، وقد ذكرها فى قوله ــ يصف حرارة اليوم ،حيث عرقت وغرقت تحت شآبيب المطر، ومعنى ذلك أن اليوم بلغ الغاية فى الحر ــ :

لأُنْسَيْنَّ اليَوْمَ حِرْبَاؤُهُ ∴ مِنْ شَمْسِهِ تَحْتَ شَآبِيبِ[3]

ومن خلال ما عرضت يتبين للقارئ ــ بما لا يدع مجالا للشك ــ أن ديوان الأبيوردى حظيرة حيوان واسعة جامعة لشتى أنواع وألوان الحيوانات كبيرها وصغيرها، نافعها وضارها، ولعلى قد أطنبت فى عرض الصور وتحديد مواضعها فى الديوان؛ حتى يكون كلامى مشفوعا بالأدلة القاطعة، ومؤيدا بالحجج الدامغة؛ على أن هذا الديوان تتمثل فيه صور الطبيعة الحيوانية بكل عناصرها وأشكالها، ولا يخفى أن للطبيعة الحيوانية وقعا كبيرا فى نفس الشاعر وخياله؛ مما جعله يعبر عنها فى وضوح وجلاء إذا قصد الحقيقة، وهى تعينه على براعة التصوير إذا قصد التصوير البيانى .

(١) ١/ ٦٢٤. مسرودة: منسوجة .
(٢) ١/ ٦٤٩ رميض الشفرتين: حدهما: غرب السيف: حده .
(٣) ٢/ ٨٥ . الشؤبوب: الدفعة من المطر .

## ثالثا: الطبيعة الصائتة (الطيور) :

تمثل الطيور عنصرا مهما من عناصر الطبيعة الحية، وارتباط الإنسان بها قديم قدم الدنيا، منذ غراب قابيل وهابيل، وهدهد نبى الله سليمان، ويمامة سيد الخلق محمد ﷺ ، حتى وقتنا هذا، وإلى قيام الساعة، ما بقى إنسان وحيوان طائر ذو جناحين يطير بهما فى الهواء، أو يمشى على الأرض برجليه .

والأبيوردى لديه ولوع بالطيور بشتى ألوانها، وديوانه خير شاهد على ذلك، فقد ورد ذكر الطيور ــ فيه ــ بمختلف أنواعها ما يقرب من خمسين ومائة مرة، وقد استعمل لفظ الطائر، ولم يرد به طائرا بعينه، ومن ثم فهو ينصرف إلى الجنس كله، ومن الصور الطريفة التى ذكر فيها اسم الجنس ــ الطائر ــ تلك الصورة التى يشبه فيها حركة البرق الضعيفة اللمعان بالطائر يحرك جفنيه حركة ضعيفة ليخرج القذى من عينيه، وشتان بين الصورتين؛ ولكن تحليق الخيال الخلاق المبدع له دوره فى التوافق والتأليف بين الصور البعيدة؛ ليخرج منها مثل هذه الصورة الرائعة ، يقول فيها:

**ولاَحَ كَمَا يَقْتَذِى طَائِرُ ∴ ولم يَسْتَطِعْ مِن كَلالٍ سُرَاهْ**[1]

وحركة أجنحة الطائر ماثلة فى ذهن شاعرنا، فهو يشبه بها الرايات فى اختفاقها[2]، وذلك حين يطير الطائر، ويشبه بها حركة خفقان قلبه وقلب حبيبته عند الانصراف؛ فيقول:

**ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَقَلْبَانَا كَأَنَّهُمَا ∴ عِنْدَ الوَدَاعِ جَنَاحَا طَائِرٍ وَجِلِ**[3]

وهو ينظر إلى جماعات وأسراب الطيور حين تجتمع سعيدة فى الروض، ومغردة على الأغصان تعبر عن فرحتها وبهجتها بالحرية،

---

(١) ١/ ٣٨٠ . اقتذاء الطائر: أن يضرب الطائر أحد جفنيه بالآخر ليلقى به القذى. السرى: سير عامة الليل.

(٢) ١/ ٤٧١ .

(٣) ١/ ٥٨٩. وانظر: ١/ ٦٧٥ .

وتشدو أعذب الألحان، فتتطبع الصورة فى مخيلته ليعبر عنها بقوله مصورا جمال الطبيعة:

وللطيرِ اسْرَابٌ تَنَاغَى بِأَلْسُنٍ ∴ على عَذَبِ الأَغْصَانِ شَتَّى لُغَاتُها[1]

وقد يكون صوتها نذير سوء، فيتشاءم الإنسان من هذا الصوت، كما فى قوله ـ نافيا ذلك ـ :

ولمْ تُنْذِرِ الطَّيْرُ النَّوَاعِبُ بالنَّوَى ∴ وأَلْقَى العَصَا حَادِى المَطِيِّ وَسَائِقُهْ[2]

ومع أنه أطلق لفظ الطائر عشر مرات ونيف إلا أنه خص كثيرا من الطيور بالذكر لغرض يتعلق بها كالقوة أو الجمال أو السرعة أو الصوت أو غير ذلك مما يتعلق بالطيور؛ منها:

**الصقر:** ـ من الطيور الجارحة ـ وقد ذكره الأبيوردى حوالى عشرين مرة،وللصقر منزلته عند العربى وبخاصة أهل البادية،وشاعرنا عالم بأحوال الصقر،وما يتفرد به من الصفات،كالقوة والحذر وحدة البصر والدقة فى إصابة الهدف، والسيادة فى عالم الطيور، ومع ذلك فلم يخصه بقصيدة أو بمجموعة أبيات، واكتفى بذكره فى الصور البيانية، ومنها قوله يشبه الفارس بالصقر فى القوة والحذر:

وكُلُّ فَتَى يَرْدِى به الطَّرْفُ فى الوَغَى ∴ مُشِيحًا كما أَوْفَى على المَرْقَبِ الصَّقْرُ[3]

والصقر معروف بحدة البصر والدقة فى إصابة الهدف، ومن ثم فهو يشبه نفسه بصواب النظرة كالصقر، فيقول:

وما الصَّقْرُ يَسْتَذْكِي الطَّوى لِحَظَاتِهِ ∴ بأَصْدَقَ مِنِّى نظْرَةً حِينَ يَخْطِفُ[4]

ومع قوة الصقر وشجاعته فإنه يخشى الصياد، ويصور ذلك بقوله:

---

(١) ٢/ ١٠٧ . عذب الأغصان: أطرافها. وانظر: ٢/ ٧٧، ١٢٣ .

(٢) ٢/ ٢٧٠ .

(٣) ١/ ١٥٣. ردى الفرس: إذا رجم الأرض رجما بين العدو والمشى الشديد. الطرف: الفرس. المشيح: الجاد والحذر. المرقب: الموضع المرتفع. شبه الفتى بالصقر والفرس بالمرقب فى طوله.

(٤) ١/ ٤٣٤ .

إِذَا بَدَتْ سَارَقَتْهَا العَيْنُ نَظْرَتَهَا ∴ تَلَمَّحَ الصَّقْرُ رُعْبًا فَوْقَ مُرْتَبِأِ[1]

ويلتقط صورة الصقر حين يبلله المطر؛ فيحرك نفسه لنفض قطرات المطر، ليشبه بها حركة قلبه، من خوف جناية نظره، وتلك من صور الطبيعة التى كنت فى مخيلة الشاعر، ليعبر بها عما أصاب قلبه، يقول فيها:

فَاسْتَنْفَضَ القَلْبُ رُعْبًا مَا جَنَى نَظَرِى ∴ كَالصَّقْرِ نَبَّاهُ طَلُّ اللَّيْلِ فَانْتَفَضَا[2]

وهو يجمع بين الصقر وبين غيره من الطيور كالقطا[3] والأغربة[4] والحبارى[5]، ويجعل السيادة والشرف للصقر دون غيره من الطيور، ويشبه به الأبطال والقادة والأشراف ويشبه بغيره أراذل الناس . وكما ذكر أهم صفاته فقد ذكر من أسمائه الصقر والباز والأجدل.

النسر: ــ أكبر الطيور الجارحة، قوى ، حاد البصر، سريع الخطا، بطئ الطيران، شعار لبعض الدول ــ له مكانة رفيعة بين الطيور وعند الإنسان، مع أن أغلب طعامه من الجيف، ذكره الأبيوردى أكثر من عشرين مرة، وهو أحد عناصر الطبيعة الطائرة، وصورته عنده غلب عليها تتبع جيوش الممدوح كى يأكل مع الذئب من لحوم القتلى، وذلك كقوله ــ وهى صورة مألوفة لدى أبطال الحروب فى ميادين القتال ــ :

أيَا خَيْرَ مَنْ يَتْلُوهُ فِى غَزَوَاتِهِ ∴ عَلَى ثِقَةٍ بِالشَّبْعِ نَسْرٌ وَسِرْحَانُ[6]

---

(١) ٢/ ٢٧٢. ارتبأ الجبل: علاه. والمرتبأ: مرقب مرتفع.
(٢) ٢/ ١٨٢ .
(٣) ١/ ٣٨٥ .
(٤) ١/ ٤٧٩ .
(٥) ١/ ٦٦٢ .
(٦) ١/ ٢٥٧ . وانظر: ١/ ٤٠٠، ٢/ ٦٧ .

ومن الصور البيانية، قوله يشبه شعر رأسه المجاوز شحمة الأذن بجناح النسر فى شدة السواد:

إذْ لِمَّتِى كجَنَاحِ النَّسْرِ دَاجِيَةٌ ∴ والعَيْشُ رَقَّتْ حَوَاشِى رَوْضِهِ الخَضِلِ[1]

ويستعير من النسر قوة اللحظ لممدوحه، لما عرف عنه من حدة البصر[2]، ومن خلال الصور التى ورد فيها النسر يتبين أن شاعرنا لم يوله اهتماما خاصا دون الطيور الأخرى.

**العقاب**: ــ طائر كاسر قوى المخالب حاد البصر ــ ذكره الأبيوردى بأسماء وصفات كثيرة مثل الشغواء، والفتخاء، والخدارية، ولم يكثر من ذكره كما أكثر من ذكر الصقر والنسر، واهتم بذكر أخص صفاته وهى القوة، فقال يصور المنايا:

تُدْهَى بها العَصْمَاءُ فى شَعَفَاتِها ∴ وتَحُطُّ عَنْ وُكُنَاتِها الشَّغْوَاءُ[3]

ويشبه الفارس بالصقر والفرس بالعقاب، فيقول:

إذَا حَفَزَتْهُ هِزَّةُ الرَّوْعِ خِلْتَهُ ∴ عَلَى الطِّرْفِ صَقْرًا فَوْقَ فَتْخَاءَ كَاسِرِ[4]

وشبه الرايات فى حركة خفقاتها ــ كما فعل مع الطائر ــ بحركة العقاب، فقال:

بِيَوْمٍ تَرَى الرَّايَاتِ فِيهِ كَأَنَّهَا ∴ إذَا سَاوَرَتْهَا خَطْرَةُ الرِّيحِ عِقْبَانُ[5]

**الغراب**: أنواعه كثيرة، والعرب يتشاءمون به إذا نعق قبل الرحيل ــ غراب البين ــ ويضرب به المثل فى السواد والحذر، وله صورة واضحة فى الشعر العربى، ويمثل عنصرا مهما فى الطبيعة الطائرة، وهو أذكى الطيور، حيث جعله الله معلما للإنسان فى بدء الخليقة،

---

(١) ١/ ٢١٩. الخضل: الطرى.

(٢) انظر: ١/ ٤١٧، ٢/ ١٥٧.

(٣) ١/ ٢٦٦. العصماء من الظباء والوعول: التى فى ذراعها بياض. الشعفة: رأس الجبل. الشغواء: العقاب.

(٤) ١/ ٤٧٣. الفتخاء: العقاب. كسر الطائر: ضم جناحيه حين ينقض. وانظر: ٢/ ٨٨، ١/ ١٢٩.

(٥) ١/ ٢٥٢.

ذكره الأبيوردى عشر مرات ونيف، وصورته عنده غلب عليها عنصر التشاؤم ــ غراب البين[1] ــ كما فى قوله يدعو عليه:

وَقَفْنَا بِمُسْتَنِّ الْوَدَاعِ وَرَاعَنَا ∴ بِهُزْوَى غُرَابُ الْبَيْنِ، لا ضَمَّهُ وَكْرُ[2]

وكما دعا عليه،فقد دعا على أفراخه،فقال مبينا سبب دعائه[3]:

فَمَا لِغُرَابِ الْبَيْنِ يَنْعَبُ بَعْدَمَا ∴ أَتَتْ دُونَ مِنْ أَهْوَى مَهَامِهُ فِيحُ[4]

بِفِيهِ الثَّرَى قَدْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا النَّوَى ∴ نَأَى عَنْهُ فَرْخَاهُ، فَفِيمَ يَصِيحُ[5]

واستعار الغراب لأراذل الناس[6]،وشبه به الليل فى السواد،فى قوله:

بَكَرَتْ وَاللَّيْلُ فِى زِيِّ الْغُدَافِ ∴ سَاحِبَاتُ الرَّيْطِ مِنْ عَبْدِ مَنَافِ[7]

**النعام (الرئال)** : ــ طائر كبير الجسم ، طويل العنق والوظيف، قصير الجناحين، شديد العدو ــ ذكره الأبيوردى عشر مرات ونيف، وصورته عنده غلب عليها التصوير البيانى لأمور تتعلق بسرعته أو بيضه أو بيت بيضه أو غفلته، فهو يشبه الإبل وسائر المطايا والأعداء الفارين من ميادين القتال بالنعام[8] فى السرعة،فيقول فى تشبيه الإبل حين يزجرها بالنعام:

كَأَنَّكَ حِينَ تَزْجُرُهَا وَتُرْخِى ∴ أَزِمَّتَهَا تَرُوعُ بِهَا رِئَالا[9]

ويشبه محبوبته ببيض النعام فى البياض وصفاء اللون، ويشبه الركائب فى السرعة بالرئال، فيقول:

وَفِى الرَّكْبِ نَشْوَى الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهَا ∴ وَدِيعَةُ أُدْحِيٍّ وَهُنَّ رِئَالُ[10]

---

(١) انظر: ١/ ٢٩٤ ، ٦١٧ ، ٢/ ٣٥ .
(٢) ١/ ١٥٦ مستن: طريق أو موقف .
(٣) ٢/ ٣٥ .
(٤) مهامه فيح: واسعة .
(٥) بفيه الثرى، ونأى عنه فرخاه: دعاء عليه .
(٦) ١/ ٤٧٩ .
(٧) ٢/ ٨٤ .
(٨) ١/ ٣٩٤ ٤٦٧ .
(٩) ١/ ١٣٩. الرئال: ولد النعام .
(١٠) ١/ ٥١٣ . وديعة أدحى: بيض النعام .

ويكنى عن اتساع الفلاة وشدة القيظ فيها فيقول:

**وَيَخْشَى القَطَا الكُدْرِيُّ فِيهَا ضَلَالَهُ ∴ وَيَشْكُو لَظَاهَا فِى أَدَاحِيِّهَا الرِّبْدُ**[1]

ويعيب قوما ويعرض بهم، ويشبههم بالنعام فى الغفلة، لأن النعام أغفل الطيور، فيقول:

**لَهُمْ ثَرْوَةٌ يَمْتَدُّ فِى اللَّوْمِ بَاعُهَا ∴ حَوَاهَا نَعَامٌ فِى النَّعِيمِ رَتُوعُ**[2]

**الحمام** : ــ من الطيور الجميلة ذات الطبيعة الهادئة وأنواعه كثيرة ــ ويمثل أحد العناصر الرئيسة فى الطبيعة الطائرة ، وعلاقته بالإنسان قديمة وحميمة، ذكره الأبيوردى فى شعره عشرين مرة ونيف، وصورة الحمام عنده تختلف عن غيرها من الطيور، فبينه وبين الحمام تشابه وجدانى ومشاركة فى الأحاسيس، ومن ثم فقد خصه برسم صور كلية كثيرة؛ فى مقطوعات وأبيات، منها تلك الصورة التى تكررت فى مواطن متعددة من الديوان[3]، وهى صورة تجمع بين الشاعر وبين الحمام، حيث يعقد مقارنة بينه وبين الحمام فى مدى التأثر بفراق الحبيب ، فكلاهما يبكى ويتألم، ولكن الأبيوردى يرى أنه أشد تأثرا من الحمام، والدليل على ذلك كثرة الدموع التى يذرفها عند الفراق بخلاف الحمام الذى يبكى بغير دموع، ومع ذلك فهو يطرب لسماع شجو الحمام، و ــ منها ــ هذه المقطوعة الخاصة بالمقارنة بينهما وهى أصدق تجربة وأقوى عاطفة من غيرها، يقول فيها[4]:

**وَحَمَّاءِ العِلَاطِ إِذَا تَغَنَّتْ ∴ فَكَمْ طَرَبٍ يُخَالِطُهُ أَنِينُ**[5]

**وَأَرْعَيْهَا مَسَامِعَ لَمْ يُمِلْهَا ∴ إِلَى نَغَمَاتِهَا إِلَّا الرَّنِينُ**

**وَبَيْنَ جَوَانِحِى مِمَّا أُعَانِى ∴ تَبَارِيحٌ يُلَقِّحُهَا الحَنِينُ**

**بَكَتْ وَجُفُونُهَا مَا سَافَحَتْهَا ∴ دُمُوعٌ وَالغَرَامُ بِهَا يَبِينُ**

---

(١) ٣/ ١٤٧. الأداح جمع الأدحى: وكر النعام وموضع بيضه .

(٢) ٢/ ٧٣ .

(٣) انظر: ١/ ١٧١، ٢/ ١٠٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٤) ٢/ ٤٦ .

(٥) العلاط: سمة كالطوق فى عنق الحمامة .

وَلِي طَـرْفٌ أَلَحَّ عَلَيْـهِ دَمْـعٌ ∴ تَتَـابَعَ فَيْضُـهُ فَمَـنِ الحَـزِينُ؟

والحمام لأنه جميل يعشق الحياة فى الأماكن الطيبة فى الأزمان الطيبة[1]،والأبيوردى يرسم صورة أخرى للحمام حين تجتمع أسرابه وتتبادل الشدو وترديد الغناء،ويجاوب بعضها بعضا فى مواطن مختلفة، منها موقف الحمام منه حين يذهب إلى حبيبته سرا، ويحاول خدمها إخفاء أمره،فإن الحمامة تذيع هذا السر،وهو يستمع إليها حين تنوح إلى أخواتها، وهن يجاوبنها فى حنين بالغ، ويخفف عنه هذا أن خياله أوحى إليه أن تغريد الحمام ما هو إلا إنشاد أشعاره، فيقول[2]:

وَمِمَّـا أَذَاعَ السِّـرَّ وُرْقَـاءُ كُلَّمَـا ∴ أَمَلْـتُ إِلَيهَـا السَّـمْعَ نَمَّـتْ بِأَسْـرَارِي
إِذَا هِـيَ نَاحَـتْ جَاوَبَتْهَـا حَمَـائِمٌ ∴ كَمَـا جَـنَّ وَلْهَـى فِـي رَوَائِـمِ أَطْـآرِ[3]
كَـأَنَّ رَوَاتِـي عَلَّمُـوهُنَّ مَنْطِقِـي ∴ فَهُـنَّ إِذَا غَـرَّدْنَ أَنْشَـدْنَ أَشْـعَارِي

وكما يتجاوب الحمام مع الحمامة لإفشاء سر الحبيبين، فإنه يجاوب بعضه بعضا فى وقت الصباح؛ عندما يقشع النور الظلام، وتغدو الطيور خماصا، وهى صورة طبيعية رائعة تبعث فى النفس الأمل والثقة وحب حياة الجماعة المتآلفة، وهو يصور هذا المشهد الطبيعى الجميل بقوله[4]:

بَكَتْ شَجْوَهَا وهْنًا وَكِدْتُ أَهِيمُ ∴ حَمَـائِمُ وُرْقٌ صَـوْتُهُنَّ رَخِـيمُ
تَجَاوَبْنَ إِذْ حَـطَّ الصَّبَاحُ لِثَامَهُ ∴ وَرَقَّ مِـنَ اللَّيْـلِ البَهِـيمِ أَدِيـمُ

وكذلك يتجاوب الحمام مع العصافير،ويبادلها الغناء فوق الأراك، وهى صورة طبيعية غاية فى الإبداع، وقد صورها شاعرنا بقوله:

وَهَبَّـتْ عَصَافِيرُ اللِّـوَى فَتَكَلَّمَـتْ ∴ وَجَاوَبَهَـا فَـوْقَ الأَرَاكِ حَمَامُـهُ[5]

---

(١) انظر: ١/ ٢٤٧ .
(٢) ١/ ٢٦٠ ــ ٢٦١ .
(٣) الولهى : التى ذهب عقلها بسبب الحزن الشديد. روائم: جمع رائمة وهى التى تتعطف على ولدها. الأطآر: جمع ظئر . وهى الناقة التى يموت ولدها فترضع ولد غيرها .
(٤) ١/ ٦٤٢ .
(٥) ١/ ٥٢٦ .

وشدو الحمام وغناؤه وتغريده وهتافه ولحونه ونوحه ودعاؤه، كل ذلك له سحره فى الطبيعة ووقعه فى نفس الشاعر ثم المتلقى، وقد عبر عن ذلك كله شاعرنا فى أبيات متفرقة منها قوله:

وأَحْبِسُ التَّرْكَبَ يا ظَمْياءُ إِنْ بَرَقَتْ ∴ غَمَامَةٌ وشَدَتْ وُرْقاءُ فى فَنَنِ[1]

وقوله:

وغادَرَنِى نِضْوَ الهُمُومِ يُثِيرُها ∴ غِنَاءُ حَمَامٍ أو بُكَاءُ غَمَامِ[2]

وقوله:

وكَمْ لك عنْدِى من يدٍ مُسْتفيضَةٍ ∴ لَبِسْتُ بها طَوْقَ الحَمَامِ المُفَرَّدِ[3]

وقوله:

رمَاكَ بِشَوْقٍ فالمَدَامِعُ ذُرَّفٌ ∴ حَنِينُ المَنَايَا أَوْ حَمَائِمُ هُتَّفُ[4]

وقوله:

وقَدْ سَاءَنِى أَنْ أَرَى دَارَهَا ∴ تَصُوغُ الحَمَائِمُ فيها لُحُونَا[5]

وقوله:

شَقِيقَةَ نَفْسِى بالعَوَاذِلِ بَعْضُ ما ∴ أُعَانِى إذَا نَاحَ الحَمَامُ المُطَوَّقُ[6]

وقوله:

وعَارِضَةٍ وَصْلاً تَصَامَمْتُ إِذْ دَعَتْ ∴ وأُخْتُ بَنِى وُرْقَاءَ تَدْعُو فأَسْمَعُ[7]

وغير تلك من الأبيات التى تبين الجانب الجمالى فى هذا الطائر الرقيق الذى يضفى بصوته العذب الجمال على الطبيعة من حوله.

**القطا:** ــ نوع من اليمام ، يعيش فى الصحراء ، ويتخذ أفحوصا فى الأرض يبيض فيه، وواحدته قطاة ويضرب به المثل فى

---

(١) ١/ ٣٥٦ .
(٢) ١/ ٤٠٧ .
(٣) ١/ ٤٢٠ .
(٤) ١/ ٤٣٢ .
(٥) ١/ ٥٧٩ .
(٦) ٢/ ٨٣ .
(٧) ٢/ ٢٠٥ .

الصدق؛ فيقال: "أصدق من قطا" ـ ذكره الأبيوردى فى شعره أكثر من عشر مرات، غلب عليها الأسلوب البيانى، فيشبه جماعات الخيل بجماعات القطا[1]، ويشبه كلام الترك بتراطن القطا، وعيونهم فى الضيق بعيون القطا، فيقول[2]:

وإنْ نَطقوا قلتَ القطا من قبيلهمْ ∴ وهُمْ غِلْمَةٌ مِنْ وُلْدِ نُوحٍ قَبيلُها
وقَدْ أشْبَهُوهَا أعْيُنًا إذْ تلاحَظُوا ∴ علَى شَوَسٍ والبِيضُ تَدْمَى نُصُولُها

ويشبه الليل بإبهام القطاة فى القصر[3]، ويستعير القطا للجبناء والضعفاء[4]، ويشير إلى أساريب القطا مبينا ما نزل بها من البرد بسبب المطر، وهى من صور الطبيعة المشاهدة فى الفضاء؛ فيقول:

يُرَاعِى أَسَارِيبَ القَطَا عصَفَتْ بها ∴ من الرِّيحِ هَوْجَاءُ الهُبُوبِ بَلِيلُ[5]

الفراخ[6]: ـ نخص منها صغار الطيور ـ وقد ذكرها الأبيوردى خمس مرات تقريبا، وهى تمثل أمل الطيور الكبيرة فى الحياة، وهى الصورة التى ألح عليها الشاعر، فمرة ـ بسبب ضيقه منها ـ يدعو عليها، ومرة أخرى يحسدها على قرة عيونها بأفراخها، فهو يدعو على غراب البين فيقول:

بِفِيهِ الثَّرَى قَدْ فَرَّقَتْ بيننا النَّوى ∴ نأى عنْهُ فَرْخَاهُ فَفِيمَ يَصِيحُ[7]

ويدعو على الحمام حين هيجه شوقه، فيقول:

رُمِينَ بِأَسْهُمٍ يَقْطُرْنَ حَتْفًا ∴ ولا رَشَحْنَ فَرْخًا مَا بَقِينَا[8]

---

(١) ١/ ١٣٠ .
(٢) ١/ ٦٣٣ .
(٣) ٢/ ٢٨٥ .
(٤) ١/ ٣٨٥ .
(٥) ١/ ٥٦٨ .
(٦) الفراخ: كل صغير من الحيوان والنبات والشجر .
(٧) ٢/ ٣٥ .
(٨) ٢/ ٢٦٨ . رشح فرخه: رباه ونماه.

ويستعطف حمامة السدر أن تغنى حتى تبعث فى نفسه الشجن عند وداع الحبيبة، ويذكرها بما عندها من أسباب السعادة وراحة البال، فيقول[1]:

حَمامَةَ ذاتِ السِّدْرِ بالله غَرِّدِى ∴ يُجَاوِبُكِ صَحْبِى بالنَّقَا سُقِيَ السِّدْرُ
أيُسْعِدُ مَنْ يُدْمِى جَوانِحَهُ النَّوَى ∴ حَمَامُ لَدَيْهِ الإلْفُ والفَرْخُ والوَكْرُ

وهذا لون من ألوان تعامل الشاعر مع الطيور من حوله، وهو مظهر من مظاهر الطبيعة التى تثير كوامن النفس فى الإنسان، فيلجأ إلى المخلوقات من حوله كى تشاركه أحاسيسه ووجداناته .

والفرخ الصغير "الناهض" حين يقرب للطيران؛ فإنه يمثل عنصرا جماليا من عناصر الطبيعة الرقيقة، وشاعرنا يصور ذلك بقوله:

جَرِيمَةُ نَاهِضٍ يَشْكُو طَوَاهُ ∴ إليْهَا وَهْيَ شَاكِيَةٌ طَوَاهَا[2]

الديك: يمثل أحد عناصر اليقظة والنشاط فى الطيور الداجنة، ذكره الأبيوردى أربع مرات تقريبا، وصورته عنده مرتبطة بقرب زوال الليل ودنو ظهور الصبح، وصياح الديك فى هذا الوقت من الصفات الملازمة له ، وقد رسم له صورة نادرة وجميلة قرنها بزيارة طيف الحبيبة فى آخر الليل، يقول فيها[3]:

فَيَمَّمَ عن عُفْرٍ طَلِيحَ سَبَابَةٍ ∴ وللفَجْرِ دَاعٍ بالْيَفَاعِ يُغَوِّثُ[4]
مُتَوَّجُ أعْلَى قِمَّةِ الرَّأسِ سَاحِبٌ ∴ جَنَاحَيْهِ فى العَصْبِ اليَمَانِيِّ مُرْعَثُ[5]
إذَا مَا دَعَا لبَّاهُ حُمْشٌ كأنَّها ∴ تُفَتِّشُ عن سِرِّ الصباحِ وتَبْحَثُ[6]

---

(١) ٢/ ٢٥٣ .
(٢) ٢/ ٢٠١ .
(٣) ١/ ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .
(٤) العفرة: بياض تعلوه حمرة. اليفاع : المكان المرتفع. يغوث: يصوت ويستغيث.
(٥) العصب من البرود: الذى يصبغ غزله. الرعثة: لحية تحت منقار الديك .
(٦) حمش: دقيق الساقين والمراد الديكة والدجاج.

فالديك يرفع صوته فى الفجر إيذانا بظهور نـور الصـباح[١]، وعلى رأسه التاج ، وتحت عنقه وحول أظفاره الشعيرات المتدليـة، وعندما يصيح تجتمع عنده الديكة والدجاج وكأنها تبحث عـن سـر الصباح وتجدد الحياة. وهو تصوير رائع لمشهد طبيعى جميل.

**طيور نادرة :**

من الطيور النادرة فى ديوان الأبيوردى ــ أى قليلة الذكر ــ:

**العصافير:** وقد تجاوبت مع الحمام فى الشدو والغناء فى مشهد طبيعى جميل[٢].

**البلبل:** ورد ذكره مع القطاة فى بيان قصر الليل[٣].

**الخفاش:** وهو لا يطير إلا فى الليل،ولا يقدر على مواجهة الشمس[٤].

**الحبارى:** وقد سبق ذكرها مع الصقر[٥].

**العنقاء:** ــ وهو طائر متوهم يضرب به المثل فيما هو مستحيل ــ والأبيوردى يشير إلى نهاية كل إنسان بقوله:

لا شَـارِخٌ يَبْقَـى ولا نُولِـدَةٌ ∴ أَلْـوَتْ بِعَصْـرِ شَـبَابِها العَنْقَاءُ[٦]

وذكر الأبيوردى بعض الحشرات، منها النافع كالنحل، ومنهـا الضار كالجراد، وقد سبق ذكرها .

ومنها التى تمثل جانبا جماليا فى الطبيعة كالفراش، وقد ضرب به المثل فى الضعف، فقال هاجيا:

وَيشُـبُّ نَـارًا لا يَـرُدُّ زَفِيرُهَـا ∴ واللَّيْـلُ مُعْتَكِـرٌ طَـنِينَ فَـرَاشِ[٧]

---

(١) انظر: ٢/ ٣٨، ٨٧، ١٣٥ .
(٢) ١/ ٥٢٦ وسبق ذلك فى الحديث عن الحمام .
(٣) ٢/ ٢٨٥ .
(٤) ١/ ٥٦٠ .
(٥) ١/ ٦٦٢ .
(٦) ١/ ٢٦٧ .
(٧) ١/ ٥٦٠ .

وبعد .. فإن ديوان الأبيوردى يعد موسوعة لغوية لكثرة ما تضمنه من مفردات اللغة التى تجبر القارئ على الرجوع إلى المعاجم اللغوية، وهذا دليل على أن شاعرنا متمكن من ناصية اللغة، وعالم بأسرارها، ومن ثم فقد توسع فى توظيف واستعمال المفردات اللغوية فى توضيح أفكاره ومعانيه، وبالنسبة للطبيعة فكان ديوانه قاموسا لمفرداتها بكل عناصرها ومظاهرها وأبعادها، وكان شاعرنا عاشقا للطبيعة ــ من حوله ــ بكل مكوناتها، فلا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من ذكر أحد عناصرها أو رسم صورة لعنصر من عناصرها؛ سواء أكانت كونية أم نباتية أم صحراوية أم حيوانية أم غيرها، وذلك فى مقدمات القصائد أو فى أثنائها أو فى خواتيمها، ومن يعايش ديوان الأبيوردى سيجده يتنقل به من روضة غناء إلى حديقة فيناء، ومن أفنان إلى أغصان، ومن روائح ذكية إلى ثمار ناضجة شهية، ومن غدير إلى نهر، ومن ربوة إلى وهدة، ويريه الماء فى السماء وفى الأرض، وفوق الزهور وعلى منابت الروض، وذلك فى أثناء الليل أو النهار، وفى الحر القائظ أو البرد القارس، وفى نور القمر أو تحت ظلال الشجر، وسيجعله يشاهد مناظر طبيعية لا حصر لها حية وصامتة ، وبدوية وحضرية، وعلويات وروضيات، كجماعات الطيور المغردة، وأسراب الطيور المحلقة؛ الغادية منها والرائحة، بكل أنواعها ومختلف ألوانها، ويريه فى الصحراء الحيوانات المستأنسة والمتوحشة، الضارة منها والنافعة، كالإبل والخيول، والظباء والوعول، والأسود والذئاب، والفهود والكلاب وغيرها، وكأن القارئ فى حظيرة حيوان جامعة واسعة لا حدود لها، ولا يحرم القارئ من صور الليل والنهار، والصباح والمساء، والشروق والغروب، وهبوب الرياح وهطول الأمطار ، وصوت الرعد وضوء البرق، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والسهول

والوديان، والأنهار والغدران، والجبال والكثبان، وغيرها من الظواهر الطبيعية والكونية التى شاهدها الشاعر، ووجدها فى بيئتــه، وتــأثر بها، وعبر عنها، وصاغها فى تجاربه الشعرية.

والأبيوردى فى أثناء تصويره للطبيعة؛ كان فــى كثيــر مــن الأحيان مصورا تقليديا، يحاكى السابقين عليه فى نقل الصورة بدون زيادة أو نقص، وكان فى مواطن كثيرة مصورا بارعا ومتفننا فى نقل الصور والمشاهد الطبيعية فى إتقان وبراعة، وقــد لا يكتفــى بنقــل الصورة ؛ بل يطبعها بطابع نفسه وأحاسيسه؛ فيشخصها ويجســدها ويبديها فى صورة تتجاوب معه؛ تشعر بشعوره، وتبادله حسا بحس، وتنطق بلسانه، وتشاركه همومه وأحزانه، وآماله وآلامه، وأفراحــه وأتراحه، وتبرز لنا صدق تجربته، وحرارة عاطفته، وعمق مشاعره، وبخاصة عندما يربط بين الطبيعة وبين مواقف الحب والوداع، وكأنه أحد شعراء الرومانسية فى العصر العباسى.

وهو مصور فنان وحساس للبيئة التى عاش فيها، وللطبيعــة التــى نما بين ربوعها، وترعرع بين أحضانها، ولا يقدر علــى ذلــك إلا شــاعر عاشق للجمال، مرهف الحس،رقيق المشاعر،قوى الخيال،صادق العاطفة.

وأرى أنى أوجزت ــ بقدر المستطاع ــ وشعر الطبيعــة عنــد الأبيوردى جدير بأن يكون موضوعا لرسالة علمية؛تستقصى جوانبه، وتوضح عناصره وأبعاده، وتوفى الموضوع حقه من كافة الجوانب. ويكفينى أنى اجتهدت، وأرجو أن أكون قد وفقت فى إتمام ما بدأتــه، وتحقيق ما قصدته، والله من وراء القصد وهو حسبى ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور

**محمد عبدالحميد السيد غنيم**

الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد

فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

# المصادر والمراجع

## أولا: مصادر ومراجع البحث:


١ – الأعلام. لخيرالدين الزركلى ــ دار العلم للملايين . بيروت.

٢ – خريدة القصر للعماد الأصبهانى ــ قسم شعراء العراق ــ ت:محمد بهجة الأثرى ــ بغداد ١٩٥٥م.

٣ – الخيال فى الشعر العربى . للشيخ محمد الخضر حسين. جمع وتحقيق: على الرضا التونسى. ط: الثانية سنة ١٩٧٢م المطبعة التعاونية .

٤ – ديوان الأبيوردى. أبوالمظفر محمد بن أحمد. ت: د.عمر الأسعد. ط: الثانية . مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م.

٥ – ديوان ابن خفاجة الأندلسى. دار صادر بيروت. بدون تاريخ.

٦ – ديوان النابغة الذبيانى. ت: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط.الثانية : دار المعارف ١٩٨٥م.

٧ – الرومانتيكية. د/ محمد غنيمى هلال. مكتبة نهضة مصر. بدون تاريخ.

٨ – شرح ديوان أبىالطيب المتنبى. للعكبرى . ط:الحلبى سنة ١٩٧١م.

٩ – شعر الطبيعة فى الأدب العربى. د/ سيد نوفل. ط: الثنية ١٩٧٨م، دار المعارف.

١٠ – الشعراء وإنشاد الشعر د/ على الجندى. ط: دار المعارف سنة ١٩٦٩م.

١١ – الصورة والبناء الشعرى د/ محمد حسن عبدالله. دار المعارف سنة ١٩٨١م.

١٢ – الطبيعة والشاعر العربى د/ حسين نصار . مكتبة مصر سنة ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م.

١٣ – العصر العباسى الأول. د/ شوقى ضيف ط السادسة سنة ١٩٧٦م دار المعارف.

١٤ – العصر العباسى الثانى د/ شوقى ضيف ط الثالثة سنة ١٩٧٧م دار المعارف.

١٥ – معجم الأدباء لياقوت الحموى. ج/ ١٧ ط دار المأمون. بدون تاريخ.

١٦ – الوصف (فنون الشعر) ط: الثالثة. دار المعارف سنة ١٩٨١م.

١٧ – وفيات الأعيان.لابن خلكان ت.د/ إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت.

## ثانيا: المعاجم:

١ – لسان العرب. لابن منظور. ط: دار المعارف سنة ١٩٨١م.

٢ – المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. ط: الثالثة سنة ١٩٨٥م مطابع شركة الإعلانات الشرقية.

## ثالثا: الدوريات :

مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق . العدد العشرون سنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .